روايات عبير

آن ميثر

طال إنتظاري

www.elromancia.com

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 71

www.elbanin.com

طال انتظاري

حين نحب هل يعني هذا أن نضحي من اجل من نحب؟

ضحت ايما بعاطفتها الصادقة تجاه دايمون، خوفاً عليه ومن اجل مركزه المرموق. انها فقيرة... وهو غني، لكن الحب لا يفرق بين القلوب.

مرت سنوات عديدة على فراقهما، لكن الزمن يأبى الا ان يلتقي العاشقان.

ادركت ايما ان دايمون لم ينس او يغفر...

استخدم معها الابتزاز، لارغامها على القبول بوظيفة مرافقة وممرضة لابنته العمياء في جزر البهاما.

المهمة لم تكن سهلة، فهو يحاول ان يذلها، وينتقم منها.

فهل تخطىء القلوب في تلمس طريق الحب؟

لبنان ٧ ل.ل.	الكويت ٧٥٠ ف	اليمن ٩ ر	السودان ٨٠٠م
سورية ٨ ل.س.	الامارات ١٠ د	تونس ١ د	U.K. £1
الأردن ٥٠٠ ف	البحرين ١ د	ليبيا ٧٠٠ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ١٠ ر	المغرب ٨ د	Greece Drs 150
السعودية ٩ ر	عمان ١ ر	مصر ٨٠٠م	Cyprus P 1

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
DANGEROUS RHAPSODY

© ANNE MATHER 1967
© 1983 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف: آن ميثر
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة لهارلكوين (قبرص) المحدودة

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ - أريدك ممرضة

تقع مكاتب شركة ثورن للكيماويات في احدى ناطحات السحاب الحديثة التي تعتز بنوافذها الزجاجية الضخمة. كان حارس المبنى يتجول بتمهل وهو يراقب المدخل الرئيسي والأشخاص الذين يعبرونه دخولاً أو خروجاً. وشعرت ايما بأن هذا الرجل ربما يمنعها من دخول ذلك الباب العريض. ولكنها استجمعت كافة قواها وثقتها بالنفس... ودخلت المبنى.

احست على الفور بأن قدميها غرقتا في سجادة خضراء رائعة ممتدة حتى مكتب الاستقبال، الذي تجلس وراءه صبية شقراء بارعة الجمال. ورفعت الموظفة رأسها نحو ايما وبدت انها اصيبت بشيء من الدهشة. بلعت ايما ريقها بصعوبة وقالت لها:

«لديّ موعد مع السيد ثورن في الحادية عشرة».

تفحصت الموظفة سجل المواعيد بسرعة وقالت:

«هل انت الآنسة هاردينغ؟».

هزت ايما برأسها علامة الايجاب. آه من الخوف! بدأ الضعف يعود مرة اخرى الى ركبتيها، وخافت من الانهيار! آه منك يا جوني، لماذا دفعتني الى هذا الوضع المزعج و... الرهيب؟ وسمعت ايما موظفة الاستقبال تتحدث هاتفياً مع سكرتيرة دايمون ثورن. تبادلت الموظفتان الاسماء وأوقات المواعيد وكلمات الشكر المعتادة، ثم اعادت الشقراء سماعة الهاتف الى مكانها وتطلعت نحو ايما قائلة بصوت هادىء:

«سترسل سكرتيرة السيد ثورن شخصاً يصحبك الى جناحه».

ثم اشارت بلامبالاة الى عدد من المقاعد والكراسي الوثيرة والمريحة وهي تقول:

«استريحي لحظة، فالموظف سيصل خلال دقائق قليلة».

وعادت الى اوراقها وسجلاتها التي كانت تشتغل فيها قبل قليل، فيما توجهت ايما الى احد المقاعد وجلست على حافته بعصبية وترقب، خائفة من عدم قدرتها على ايجاد الكلمات الصحيحة اثناء المقابلة المرتقبة. آه منك يا جوني، تجلس الآن مرتاحاً وبعيداً عن المشاكل بينما تترك لي الأعمال الصعبة والقذرة! ولكن، هل كان بامكانه ان يعرف مدى الصعوبة والعذاب اللذين دفعها اليهما؟ انها تساعده الآن... ولكن، هل ستحمل عنه عبء ذنوبه ومشاكله؟ بالنسبة الى جوني والى تحليله العادي البسيط، فإن مجرد اقامتها اكثر من علاقة صداقة مع دايمون ثورن قبل عدة سنوات يكفي لكي تتدخل لمساعدته وانقاذه. ولكن جوني لا يعرف، ولا احد غيره ايضاً يعرف، القصة الكاملة لعلاقتها مع دايمون ثورن. وبالتالي فإنه لم يكن بامكانه ان يعرف انها اخر انسان يمكن ان يحصل على خدمة او مساعدة من دايمون ثورن.

نظرت ايما حولها بعينين فاحصتين، تتأمل المدخل الفخم والعدد الضخم من المصاعد الكهربائية السريعة. وتمنت لو ان الشخص المنوي ارساله لاحضارها يصل خلال لحظات، لأن الانتظار يزيد من آلامها وعذابها. لماذا؟ اوه! لماذا بلغت السخافة بجوني الى الحد الذي اوقعه في هذه الورطة؟ وتطلعت الى ساعة يدها فلاحظت ان فترة انتظارها تجاوزت الدقائق العشر. كم سيبقيها على هذه الحالة قبل ان يستدعيها؟ ونظرت نحو موظفة الاستقبال علها تحظى بكلمة مشجعة او معلومات مفيدة، ولكن الشقراء الجميلة بدت وكأنها لا تشعر بوجودها.

«آنسة هاردينغ؟ تفضلي معي... من هذه الناحية».

اوصلها المصعد الى الطابق العلوي حيث يقع جناح دايمون ثورن، الذي يضم مكاتب فخمة وشقة خاصة يستضيف فيها بين الحين والآخر بعض الاصدقاء او زملاء العمل. وابتسمت ايما بطريقة لم يشعر بها مرافقها الشاب. فهي تعرف شقة دايمون في هذا الطابق، مع انها استخدمت لدى زيارتها الوحيدة المصعد الخاص الذي يصل الى قاعتها مباشرة.

سار معها الشاب الذي عرّف عن نفسه بأنه جيرمي مارتن الى اخر ذلك الممر الطويل، حيث دخل واياها مكتباً مريحاً للغاية تستخدمه سكرتيرة دايمون الخاصة جينيفر ولدن. وتذكرت ايما ان جينيفر هي سكرتيرة دايمون منذ اكثر من عشر سنوات في مكاتب الشركة بلندن. وتساءلت عما اذا تذكرت جينيفر اسمها، لأنها كانت على علم بعلاقتها مع رئيسها قبل ثماني سنوات. وقال جيرمي وهو يقدمها الى جينيفر:

«الآنسة هاردينغ».

ردت عليه جينيفر بابتسامة ناعمة:

«شكراً يا جيرمي».

ولما غادر المكتب واغلق الباب وراءه، وقفت جينيفر وتطلعت الى ايما بدقة وعناية قبل ان تقول لها ببرودة ملحوظة:

«صباح الخير يا آنسة هاردينغ. السيد ثورن مستعد لاستقبالك الآن. ولكني مضطرة لتحذيرك بأنه يكون مشغولاً جداً عندما يأتي الى لندن، وبأن الموعد التالي هو الحادية عشرة والربع».

«عملي مع السيد ثورن يجب الا يستغرق فترة طويلة. هل ادخل الآن؟».

هزت جينيفر ولدن رأسها قليلاً علامة الموافقة، فرفعت ايما يداً مرتجفة ودقت الباب، سمعت صوتاً عميقاً يطلب منها الدخول. فتحت الباب بهدوء مصطنع ثم اغلقته بشيء من التحدي في وجه جينيفر. نظرت ايما حولها بسرعة وهي تتفحص تلك الغرفة الضخمة التي توحي بأن الرجل الذي يعمل فيها عملي الى ابعد الحدود: سجاد ذو لون داكن، وستائر زرقاء ثقيلة تغطي النوافذ العريضة المرتفعة التي توفر منظراً رائعاً للمدينة. وكان ثمة مكتب خشبي ضخم يتوسط الغرفة وقد امتلأت صفحته بالأوراق واجهزة الهاتف. فيما كانت الجدران مغطاة بالرفوف الخشبية التي تغص بالكتب القيمة والجيدة، وخاصة العلمية والتقنية.

وتأملت ايما باهتمام بالغ الرجل الذي قام من وراء مكتبه بتهذيب لدى دخولها. هل من تغييرات كبيرة في منظره؟ سبع سنوات ونصف السنة فترة طويلة جداً... وكان كل ما شاهدته منه طوال هذه المدة بضع صور في الصحف لم تفه حقه. فدايمون ثورن رجل في مستهل الاربعينات من عمره

ولكنه يبدو اصغر سناً. رجل طويل القامة عريض المنكبين، يغطي رأسه شعر اسود قاتم تزيد من هيبته وجاذبيته خصلات قليلة من الشيب الخفيف. وجهه قوي الملامح، عيناه خضراوان واسعتان، وفمه ممتلىء وشهي. وخلصت ايما في تحليلها الصامت الى ان دايمون رجل تجده النساء جذاباً... حتى من دون ان يأخذن بالاعتبار ثروته الطائلة ومكانته في المجتمع.

ضاقت عيناه قليلاً لدى دخولها وغطت اهدابه السوداء الطويلة تعابير العينين وما تعكسانه من افكار وآراء. ولكن ابتسامته كانت ساخرة الى حد ما ولهجته تنم عن تهكم واضح:

«ايما... ايما! لم ارك منذ زمن طويل».

رفعت رأسها وحاولت ان تسير نحوه بشيء من الكبرياء وعزة النفس، فبالنسبة اليها دايمون لم يتغير كثيراً وهو لا يزال الآن... كما كان دائماً... شخصيته قوية وساحرة. لم تعرف كيف ستناديه الآن... السيد ثورن او دايمون، كما كانت تفعل قبل ثماني سنوات! تجاهلت الأسم كلياً وقالت له بهدوء:

«صباح الخير».

سار نحوها وهو يبتسم، ثم دعاها الى الجلوس...

«هل تشربين شيئاً؟».

هزت برأسها نفياً، فعاد الى السؤال:

«قهوة، ربما؟».

«لا. شكراً. انا... انت تعجب بالتأكيد لماذا... لماذا طلبت مقابلتك!».

عاد دايمون الى كرسيه، واخذ سيكاراً من صندوق على مكتبه واشعله بهدوء فيما كان يراقبها بدقة وعناية. ارغمت ايما نفسها على التطلع نحوه وقالت بصراحة متناهية:

«سبب الطلب هو جوني. اذ يبدو انه اوقع نفسه في ورطة مزعجة».

«هكذا اذن؟ انت تعنين بالطبع شقيقك جوني».

هزت ايما برأسها قائلة:

«طبعاً».

«استمري!».

بحثت ايما بسرعة عن الكلمات التي يجب ان تستخدمها. فلو ابلغته القصة والوقائع كتقرير طبي او تحليل علمي جاف، فانها ستشكل اعترافاً تاماً بخطأ اخيها وذنبه، مع ان جوني في الحقيقة لم يكن سوى ضحية لتصرفاته الرعناء المتهورة. ولكن كيف سيمكنها ابلاغ رسالتها كما يجب الى احد عمالقة رجال الأعمال الذي يبدو غير متعاطف معها ومع مشكلتها على الاطلاق؟ كيف ستخبر هذا الشخص الذي تنتشر شركاته وفروعها في دول العالم، والذي عمل دائماً بقسوة وبدون رحمة لتحقيق كل ما يريد ويبتغي؟ انه لن يتفهم او يقبل ابداً ان يشعر احد موظفيه... اخوها الذي يعمل في دائرة المحاسبة في هذا المبنى بالذات، بأن راتبه الشهري لا يكفي لتغطية خسائره الناجمة عن المقامرة!

ولكن هذه ليست القصة الحزينة بكاملها. فقد اوجد جوني لنفسه طريقة لاستعارة بعض الأموال من الشركة. واستخدم هذا الاسلوب طوال الاشهر الستة الماضية لزيادة دخله، آملاً دوماً في ان يحقق يوماً ما كسباً كبيراً يمكنه من اعادة هذه الأموال الى صندوق الشركة. ولم يجرؤ جوني على اطلاع شقيقته على ما يحدث معه. ولم تكن لتعرف بالمشكلة لو لم يقرر بعض المسؤولين فجأة اجراء تدقيق على حسابات نصف السنة، ويكتشف جوني انه لم يعد لديه الوقت الكافي للتلاعب بالحسابات لتغطية سرقاته. ناشد اخته ان تساعده، فقبلت مرغمة، لأنها تعرف ان التوسط لدى دايمون ثورن هو الوسيلة الوحيدة لانقاذ جوني من السجن او دفع غرامة كبيرة... او الاثنين معاً، بالاضافة الى فقدان وظيفته... شعر دايمون بتردد فأعاد المقعد الى وضعه الطبيعي وقال لها بهدوء:

«أظن ان مصاعب شقيقك ليست لها اي علاقة بعملية تدقيق الحسابات في الاسبوع المقبل!».

نظرت اليه بسرعة وعصبية لتشاهد تلك التعابير الساخرة والهازئة تملأ وجهه وعينيه. حدقت به بضع لحظات وهي تحاول ملاحظة شعوره، لم يكن وجهه ينم عن شعور بالمفاجأة... او الاستياء... او الاهتمام. كان يبدو انه يعرف عن الموضوع اكثر مما تعرفه هي! رفعت يدها الى شعرها الأسود الكثيف، المتدلي بكبرياء وتحد على كتفيها، وازاحت بعض

خصلاته عن وجهها. ماذا ستقول؟ ماذا يفكر الآن؟ من اين تبدأ؟ واحست بأنه نهض من مقعده لدى سماعه صوت القهوة تغلي باغراء في الابريق القريب من مكتبه. صب فنجاناً من القهوة وأحضره لها قائلاً بلهجة عملية خالية من الشكليات:

«الأفضل ان تغيري رأيك وتشربي فنجاناً من القهوة. تبدين وكأنك بحاجة الى قليل من القهوة الطازجة».

اخذت الفنجان من يده وشكرته بكلمة واحدة قبل ان ترفعه على الفور الى شفتيها وتشرب رشفة من ذلك السائل المنعش والشهي. لم يبتعد دايمون كثيراً بل جلس على حافة مكتبه وهو ينظر اليها باهتمام وجدية.

ثم هز كتفيه وقال:

«حسناً يا ايما! سأوفر عليك عناء الشرح والتفصيل، فأنا اعرف كل شيء عن تلاعب شقيقك جوني بدفاتر المحاسبة».

كاد الفنجان يقع من يدها التي ارتجفت، وقالت له باستغراب:

«انت تعرف!».

وحلت موجة من الغضب القوي محل توتر الأعصاب، وقالت له بانفعال:

«انت تعرف... وتتركني اجلس امامك اتعذب واتألم، وافكر كيف سأكشف لك عن هذه المشكلة العويصة!».

ابتسم بهدوء وقال:

«اهدأي يا ايما! لا يمكنك ان تلوميني على ذلك. فإذا كنت اعلم او لا اعلم لا يعني تغيير جوهر القضية بشكل او بآخر».

اربكها قربه منها. عندما كان جالساً وراء مكتبه الكبير اقنعت نفسها بأنه ليس الا صاحب الشركة التي يعمل فيها جوني، وبأنها طلبت مقابلته لمجرد مساعدة شقيقها. اما الآن فهو هنا... على بعد سنتيمترات منها. وهاجت في نفسها تلك الذكريات المنسية عن العلاقة الحميمة التي قامت بينهما. هل كانت حقاً في يوم من الأيام قادرة ان تسيطر على هذا الرجل القوي والنافذ؟ هل هو نفسه الذي كان يضمها الى صدره؟ احمرت وجنتاها فأحنت رأسها بسرعة لكي لا يلاحظ ذلك. ولم تعرف ما اذا كان انتبه الى هذا التطور المفاجيء في شعورها تجاهه اذ انه لم يعلق بشيء على احمرار

خديها بل قال:

«اتصور ان وجودك هنا هو بدافع رغبتك في انقاذ شقيقك من الطرد العلني والملاحقة القانونية!».

ثم اطفأ السيكار بتمهل وسألها ببرودة:

«لماذا تفترضين بأنني قد اساعدك في هذا المجال؟».

ردت عليه ايما بضيق وانقباض قائلة بتردد:

«انا... انا لم افترض اي شيء... من هذا القبيل. جوني طلب مني ان اقابلك وانا لم... لم اتمكن من رفض طلبه... خصوصاً بعدما علمت حجم مشكلته... والعقوبات التي ... يحتمل ان يواجهها».

«لا، طبعاً لا!».

قالها بشيء من الحدة وهو يقف فجأة ويبدأ بالسير حول مكتبه بعصبية واضحة. وبدا لها مرة اخرى كانسان غريب تماماً... ربما كان ذلك افضل بالنسبة اليها... ربما! ثم سمعته يضيف قائلاً:

«يجب ان اخبرك انني علمت فور تلقي نبأ الاختلاس الذي قام به شقيقك، بأنك ستطلبين مقابلتي عاجلاً ام آجلاً. ولأنني اعرفك حق المعرفة، او بالأحرى اعرف شخصيتك وافكارك تمام المعرفة، فقد تصورت بأنه سيرغمك على الاتصال بي والاسترحام لدي بالنيابة عنه. اني اعرف ايضاً شقيقك، كما ان ضعفه امام المقامرة لم يكن سراً. وكنت اعلم انك سوف تتورطين... وها قد ثبت ان جميع تصوراتي كانت صحيحة».

«كان علي ان اكون اكثر ذكاء وان امنع نفسي من مناشدتك انقاذ اخي. فأنت لست مديناً لي بشيء كما اني اعتقد انك تتمتع كثيراً بالمضايقات التي سيواجهها اخي».

ضرب دايمون يده على مكتبه بعنف، صارخاً بغضب اثاره فيه تجاهلها لأهميته وعدم اكتراثها بقوته ومركزه:

«اللعنة عليك! فليس لديك اي اسباب حتى الآن لاصدار اي حكم علي!».

هبت ايما واقفة وهي تسأله بلهفة:

«لماذا؟ هل ستساعده بعد هذا كله؟».

كانت متأكدة من انه سيجيبها نفياً، ولكنها لم تعد مهتمة حقاً بما سيقول

لها. انها تريد فقط مغادرة ذلك المبنى باسرع ما يمكن قبل ان تنهار حصونها الضعيفة امامه وتبدأ بالبكاء. لقد حاولت جاهدة انقاذ اخيها... وجوني يعرف ذلك. استدار دايمون ثورن من وراء مكتبه ووقف امامها يحدق فيها بقسوة وعنف، ثم قال بهدوء:

«نعم سأساعده... ولكن بثمن».

ارتجفت ركبتاها ولم تعد رجلاها قادرتين على حملها، فانهارت في مقعدها. كان ارتياحها عظيماً لدرجة انها لم تسمع الشق الثاني من جوابه... ام انها سمعته ولم تعره اهتماماً جدياً. فتحت حقيبة يدها لتخرج علبة سكائرها لأنها شعرت بحاجة الى التدخين. احس بذلك، فأخذ علبة مذهبة عن مكتبه وفتحها امامها قائلاً:

«تفضلي».

اخذت سيكارة فأشعلها لها وهي لا تزال تنظر اليه بحيرة وذهول. وبعد ان ارتاحت اعصابها قليلاً، هزت رأسها قائلة:

«لا... لا افهم!».

ثم تنهدت واضافت بجدية:

«جوني سيعيد المبلغ بكامله، بالاضافة الى الفوائد التي تترتب عليه».

«الزاوية المالية لا تهمني انا بل تهم قسم المحاسبة».

«اذا ما هو الثمن الذي يجب ان ندفعه؟».

اجابها بهدوء ونعمة:

«لا تستخدمي صفة الجمع! ما يهمني هو المفرد... انت!».

نظرت اليه ايما شزراً ثم هبت واقفة وابتعدت عنه بطريقة لا شعورية. لأي هدف او غرض يريدها دايمون ثورن؟ ليس من المعقول بالتأكيد انه لا يزال بعد هذه الفترة الطويلة...

«لا!».

قالها بصوت قاس وكأنه يقرأ افكارها وما يدور في رأسها. ثم اضاف:

«لا تتصوري للحظة واحدة انني اهتم بك، ولو قليلاً، من الناحية الحسية!».

«اذن ماذا تريد؟ انا ممرضة لا سكرتيرة».

في تلك اللحظة بالذات رن جرس خفيف على مكتبه، فرفع سماعة

الهاتف وقال:

«ثورن. ماذا تريدين؟».

تحدث لفترة قصيرة من الزمن وكان الموضوع تقنياً بحتاً. وعندما انهى محادثته المقتضبة، رن جرس في جهاز الاتصالات الداخلية. تبسم بصوت منخفض ثم ضغط زراً صغيراً وقال:

«نعم؟».

جاء صوت سكرتيرته هادئاً وقوياً في آن معاً:

«مدير مكتب وزير الصحة موجود هنا يا سيدي. موعده معك في الحادية عشرة والربع، أي منذ خمس دقائق».

نظر دايمون ثورن بسرعة الى ساعة يده الذهبية وقال بلهجة لا تقبل الاعتراض او المناقشة:

«اخبريه بأنني سأقابله خلال ربع ساعة».

«ولكن يا سيد ثورن...».

«اخبريه ذلك يا آنسة ولدن».

«نعم يا سيدي».

بدأت الصدمة الأولى لقراره بالمساعدة تزول تدريجياً، ولكنه لم يخبرها حتى الآن ماذا يريد منها كثمن لهذا القرار. نظر اليها بوداعة وقال لها بهدوء وكأنه غير مهتم بتأخير مساعد الوزير لاسباب شخصية:

«قلت انك ممرضة... وانا اريد منك ان تعملي معي ضمن مجالك هذا».

بلعت ريقها بقوة وهزت رأسها كأنها فهمت قصده... مع انها لم تفهم شيئاً على الاطلاق. هل هو مريض؟ انه لا يبدو مريضاً... ولكنه ربما يعاني من احد تلك الأمراض اللعينة التي لا تكشف في البداية عن عوارض واضحة. وشعرت بأنها على وشك ان تصاب بالغثيان! عاد دايمون ثورن نحو مقعده واشعل سيكاراً اخر ثم طلب من ايما ان تجلس مرة اخرى. ولما رفضت، قال لها بهدوء:

«لا بأس. انت تعرفين انني تزوجت».

هزت رأسها علامة الايجاب. كيف لا تعرف! الم يتزوج اليزابيت كينغزفورد بعد اسابيع فقط من انفصالها؟ ألم تشعر بأن خبر زواجه آنذاك

مزقها وكاد يقضي عليها؟ طبعاً تعرف! وسمعته يضيف:

«رزقنا بابنة تدعى انابيل. انها الآن في السادسة والنصف من عمرها».

هزت ايما رأسها مرة اخرى. انها تعرف ذلك ايضاً. فعلى الرغم من انفصالهما دأبت بعض الوقت على تتبع اخباره واخبار عائلته. واضاف دايمون بتأثر بالغ:

«هناك امر لا تعرفينه... امر لم نكشف عنه او نعلنه... وهو ان ابنتي عمياء!».

واخذ يراقب رد فعلها... اتسعت عيناها، فتحت فمها ثم عضت شفتها. وقبل ان تتمكن من الاعراب عن اسفها الحقيقي لما جرى، تابع قائلاً:

«عندما قتلت اليزابيت بحادث سير، كانت انابيل معها. اصيبت بضربة قوية على رأسها افقدتها الوعي بعض الوقت. ولما استعادت وعيها تبين انها فقدت نظرها. هذه هي القصة بكل بساطة».

«آنا آسفة جداً. هل ستتمكن من استعادة نظرها؟».

«الاخصائيون يعتقدون ان ذلك ممكن، اما انا فلست مقتنعاً بما يقولون. في اي حال، ان من المبكر جداً التكهن بشيء. فعمرها لا يسمح باجراء عملية جراحية كبرى لها. انا لا اوافق على مثل هذه العملية الآن».

وهز كتفيه العريضتين وقال:

«اذن، هذه هي المشكلة. الممرضة المربية الموجودة مع انابيل منذ وقت الحادثة، اي منذ ثمانية عشر شهراً، ستتركنا الآن لأنها سوف تتزوج. وعليه، فأنا بحاجة الى شابة تهتم بابنتي وترعاها. انا لا احب الغرباء في بيتي، وانت على الأقل لن تكوني غريبة. اتفقنا؟».

شعرت ايما بحيرة شديدة... وذهول. انها تحتاج الى بعض الوقت لتأخذ قراراً جدياً وجريئاً كهذا. ستعيش في بيت واحد مع دايمون ثورن... ستراه كثيراً... ستعتني بابنته! اخر شيء تريده في حياتها هو ان تسكن تحت سقف واحد مع هذا الرجل! ولكن هل من خيار؟ فاما ان تقبل وتنقذ جوني من السجن والفضيحة، واما ان ترفض وليتحمل جوني مسؤولياته ويحل مشكلته بنفسه. ردت عليه محاولة التملص والمراوغة:

«انا... انا لست عاطلة عن العمل. اني الآن ممرضة رئيسية وسأصبح

رئيسة قسم في نهاية السنة. لا اعرف بماذا اجيبك!».

«اوه، اعتقد انك ستوافقين... لأن رفضك سيعود على اخيك بضرر كبير».

لم تتمكن من ضبط اعصابها كثيراً فصرخت به في حدة وعصبية:

«انك حقير!».

علق على اتهامها بسخرية هادئة:

«انت تقصدين بلا شك كلمة لعين او ساخر. وان كنت فعلاً هكذا فما عليك الا ان تشكري نفسك، اليس كذلك؟».

ازاحت وجهها بعيداً عنه، غير قادرة على النظر اليه. انه لا يعرف ماذا يقول... ولا يعرف ماذا يطلب استجمعت قوتها وشجاعتها وقالت له بصوت خافت:

«يبدو ان لا مجال لي للاعتراض او للرفض. سأضطر لتقديم استقالتي في المستشفى. سوف تتوقع الادارة مهلة لا تقل عن شهر...».

قاطعها بسرعة:

«اعطهم مهلة اسبوعين: سأدفع راتب الاسبوعين الآخرين، واذا واجهك احد بأي مصاعب او شكاوى... احيليه الى مكتبي».

استدارت نحوه بغضب صارخة:

«هل تعتقد ان المال يشتري كل شيء؟».

هز رأسه واجابها بجدية وهدوء:

«طبعاً لا... وانا اعرف ذلك. الا انني لا اعرف لماذا تتصرفين بمثل هذه الحدة والعصبية. يجب ان تكوني ممتنة لي... فعوضاً عن تمضية بقية فصل الشتاء في هذه البلاد الباردة، فأنك ستمضينه وانت تتمتعين بشواطىء البهاما وشمسها».

«جزر البهاما!».

«طبعاً. انا اعيش هناك في الوقت الحاضر، الم تعلمي ذلك؟ ربما لم تعلمي، فمكان اقامتي... كوضع ابنتي الصحي... سر احتفظ به لنفسي... ولبعض المقربين مني...».

٢ - انقذ اخاها . . . فقبلت

عندما عادت ايما الى الشقة التي تتقاسمها وشقيقها، كان جوني ينتظرها على احر من الجمر. انها شقة صغيرة تقع في احدى ضواحي لندن، انتقلا اليها منذ وفاة والديهما قبل اربع سنوات، لأنهما اضطرا لبيع المنزل القديم ولم يبق لديهما مال كاف لشراء شقة افضل. ولما دخلت الشقة، هب شقيقها واقفاً وحدق بها لحظة ثم امطرها بوابل من الاسئلة:

«هل التقيته؟ هل سيغفر لي؟ هل اقنعته بأنني لم اكن مخطئاً؟ ماذا قال؟ ماذا قال؟».

«جوني! ألا تفسح لي المجال كي اتكلم؟ تريد ان تعرف عدة اشياء في وقت واحد. نعم، التقيته. لا، لن توجه اليك اي تهمة قضائية. . .».

قاطعها بفرح وبهجة وهو يرفعها عن الأرض ويدور بها قائلاً:

«اوه، ايما! ايما حبيبتي! كنت اعرف انك ستنجحين. كنت اعرف!».

جلست على كرسي واشعلت سيكارة بيدين مرتجفتين. لم تتمكن من استيعاب فكرة التحول الجذري الذي سيطرأ على ظروفها وطريقة معيشتها. وبالاضافة الى جميع مشاكلها ومصاعبها فهناك مشكلة جوني نفسه. فمع انه في السادسة والعشرين من عمره ويكبرها بعام واحد، فإنه يبدو دائماً اصغر منها بكثير. وكانت ايما التي تتحمل على الدوام وطأة المشاكل التي يوقع نفسه بها. وتضايقت كثيراً عندما تخيلت الوقت الذي ستضطر فيه لتركه، والعيش في مكان يبعد الاف الكيلومترات. . . حيث لن تتمكن من مراقبة اكله بانتظام، وحصوله على كميات كافية من الالبسة، وعدم اسرافه في التدخين!

«انك رائعة يا اختي الحبيبة! رائعة!».

«انك لم تسمع بعد بقية القصة. فحتى دايمون ثورن يريد شيئاً مقابل ماله».

توقف جوني فجأة عن القفز والرقص في ارجاء الغرفة الصغيرة وسألها:

«وماذا يريد، بالاضافة الى ماله بالطبع؟».

«انه يريدني انا. يريد على الأقل خبرتي في التمريض. ابنته انابيل بحاجة لممرضة مربية. . . وهذا هو الثمن الذي يريده».

هز جوني كتفيه وقال عابساً:

«اوه، حسناً، فالأمر ليس سيئاً الى هذا الحد! اعني ان دخلك الشهري كموظفة لدى ثورن لن يكون قليلاً، اليس كذلك؟ اعتقدت في بادىء الأمر انه. . .».

وتوقف عن انهاء جملته، ثم عاد وقال لها:

«لماذا هذه النظرات الشاحبة والغاضبة؟ العمل معه كممرضة خاصة اسهل بكثير من دفن نفسك في مستشفاك هذا طوال الليل والنهار».

حدقت به ايما وكأنها تراه لأول مرة في حياتها، وقالت له:

«الحقيقة يا جوني انك ذروة في الازعاج واثارة الأعصاب. انك تعرف حق المعرفة انني اتمتع بعملي الى ابعد حد، وانني على وشك الحصول على ترقية. وانا لا اريد التخلي فجأة وكلية عما كافحت سنوات لتحقيقه كي العب دور مربية لطفلة صغيرة، ولكنك لا تهتم بأمري ابداً، اليس كذلك؟ لا تهتم ابداً ما دمت قد انقذت جلدك!».

بدا الانزعاج واضحاً على وجهه وقال لها بحدة:

«لا تكوني هكذا ايتها الصغيرة!».

صرخت به غاضبة:

«لا تسميني الصغيرة! لن تكون مسروراً ابداً عندما اخبرك انني سأغادر البلاد. انابيل تعيش في جزر البهاما ودايمون ثورن يريدني ان اعيش هناك».

ظهر القلق فجأة على محياه وسألها بلهفة وتلعثم:

«ماذا؟ ماذا تقولين؟ ماذا. . . سيكون امري. . . والشقة؟».

«انا آسفة، ولكن هذا هو الثمن الذي يجب ان ندفعه. فاما ان اوافق

على طلب دايمون واذهب الى سانت دومينيك لأهتم بابنته انابيل، واما ان تذهب الى السجن. هذان هما ببساطة الاختياران اللذان اتاحهما لنا دايمون».

لوح جوني بقبضته غاضباً وهو يقول:

«اللعنة! هذه هي طبيعته وهذا هو اسلوبه! فرض الشروط القاسية!».

«جوني! لا تنسَ انك انت الذي اوقعتنا في هذه الورطة».

لم تقدر على منع نفسها من الدفاع عن دايمون ثورن. فشروط الرجل ليست قاسية او غير انسانية الى هذه الدرجة. وهو ايضاً...

«اعرف، اعرف، وليس من الضروري ان تذكريني دائماً بما حدث. واكرر القول إنني لا استغرب تصرفه هذا، لأن من طبيعته القيام بأمر حقير للغاية يؤلمني ويوجعني كيفما كانت النتيجة».

«اوه، جوني!».

«انها الحقيقة، اليس كذلك؟ رباه، هناك عدة مكاتب ووكالات متخصصة يمكنه ان يختار بواسطتها ممرضة او رفيقة لابنته ويكون لها ضعف مؤهلاتك. كم عمرها؟ لا يمكن ان تكون اكثر من ست سنوات! انه لأمر سخيف للغاية. لماذا يريدك انت بالذات؟ لماذا لا يقبل بأن ارد له ماله وتنتهي القصة عند هذا الحد؟».

هزت ايما رأسها قائلة بهدوء:

«لا اعلم اي شيء سوى ما اخبرتك به. لا اعرف لماذا يريدني انا شخصياً... فتصرفه معي يوحي بانه يحتقرني بشكل واضح».

«ها! هذه هي المسألة اذن. انه يستخدمك لمجرد اغاظتي... لأنه يحقد علي».

تنهدت ايما وقالت:

«مهما كانت اسبابه ودوافعه فان علينا القبول بشرطه... لأنني لا اعتقد انك على استعداد للدخول الى السجن نكاية به ولاغاظته، اليس كذلك؟».

احنى جوني رأسه خجلاً وقال بصوت منخفض وكأنه يرفض الاقرار بصواب كلامها:

«صحيح. وكم تتوقعين البقاء هناك؟ ماذا سأفعل بعد ذهابك؟».

«لا اعرف يا جوني. والأمر يقلقني كما يقلقك انت تماماً. صدقني».

«وما هي الترتيبات اذن؟ لقد اتخذ قراره هذا بسرعة على ما يبدو، اليس كذلك؟».

عضت ايما على شفتها وكأنها تذكرت شيئاً هاماً، وقالت:

«اوه، رباه، نسيت ان اخبرك يا جوني! كان مطلعاً على ما قمت به بالتفصيل... وكان يتوقعني ان اذهب اليه».

«الحقير!».

قالها جوني بعصبية بالغة، ثم مضى الى القول:

«كان علي ان اعرف ان ما من شيء يجري في تلك المكاتب والدوائر بدون معرفته التامة».

«لم يعد هاماً حقاً ماذا يعرف او لا يعرف. اطلاعه على الأمر وفر علي الكثير من التوضيح والشرح... لا اكثر ولا اقل، وعلينا ان نقبل بالواقع».

ثم نظرت الى ساعة يدها وقالت بلهفة:

«اوه، انها الواحدة تقريباً. عملي يبدأ في الثانية، كما اني مضطرة لكتابة استقالتي».

«متى ستغادرين لندن؟».

«خلال اسبوعين تقريباً. ستتصل بي سكرتيرته وتعطيني كافة التفاصيل. اعتقد انه يتحتم علي شراء بعض الثياب الصيفية. فمع اننا الآن هنا في منتصف فصل الشتاء، فإن الطقس دافىء جداً طوال فصول السنة في جزر البهاما».

تمتم جوني بكلمات غير واضحة، ثم قال بحدة ظاهرة:

«تصوري! انا سأظل حبيس هذه المدينة الباردة والشقة الصغيرة، وانت ستذهبين لتمضية اجمل اوقاتك واحلاها!».

هبت ايما واقفة واستدارت نحوه بعصبية بالغة، ثم قالت بانفعال واضح:

«انت حقاً اكثر الناس الذين عرفتهم في حياتي انانية وحباً للذات. انا لا يهمني بشكل او بآخر اين أذهب، ما دمت مرغمة على مغادرة موطني... والاستقالة من عملي، والابتعاد عن اصدقائي. هل تتصور حقاً ايها الغبي

ان جزيرة معزولة، مهما كان طقسها رائعا وموقعها خلاباً... يمكن ان تعوض جميع الاشياء التي سأضطر للتخلي عنها؟ واكثر من ذلك كله، كيف تظن انني سأشعر بالنسبة الى العيش مع دايمون ثورن تحت سقف واحد... كأجيرة لديه، اتلقى اوامره وانفذ طلباته؟».

نظر اليها شقيقها خجلاً وقال:

«اعتقد ان الوضع سيكون بائساً الى حد ما، وخاصة انك لن تعيشي في ناسو كاحدى ... الغنيات! انا اسف يا اختي. اعتقد انني كنت قاسياً الى حد ما. كل ما في الأمر انني سأبدأ بتناول طعامي في الخارج وارسال ثيابي الى المصبغة».

«ارجوك، بحق السماء، ألاّ تصبح كالمتشردين والمتسولين لمجرد انني لست هنا للاعتناء بك والاهتمام بامورك».

«انا لست غبياً الى هذه الدرجة، وانت تعلمين ذلك ايتها الأخت العزيزة».

ثم تنهد بانفعال وسألها:

«وماذا عن وظيفتي؟ هل لا ازال موظفاً ام انني فصلت من عملي؟».

«يقول دايمون ثورن ان بامكانك البقاء في عملك، مع ان المبلغ الذي اختلسته سوف يعاد الى الشركة طبعاً بواسطة حسومات معينة من راتبك الاسبوعي».

رد بمزيج من السخرية والحدة:

«طبعاً، طبعاً! اوه، حسناً، هذا يعني ان كل شيء قد انتهى».

نظرت اليه ايما بانزعاج واضح ثم ذهبت الى الحمام لابدال ثيابها والتوجه فوراً الى المستشفى، حيث لا يزال بامكانها تناول وجبة خفيفة وسريعة قبل الالتحاق بالقسم الذي تعمل فيه.

خلال الاسبوعين التاليين، لم تفسح ايما المجال امام نفسها، للتركيز على الاسباب التي دفعت دايمون ثورن الى استخدامها. كانت تمضي وقتها بين المستشفى وشراء بعض الحاجيات الضرورية، وكذلك في الحصول على الوثائق والأوراق الضرورية للاقامة والعمل في ناسو. ودأبت في الليالي التي لم تتمكن فيها من النوم بسرعة، على تناول احدى الحبوب المنومة، رافضة دراسة الموضوع وتحليل الاعتبارات والمضايقات.

واضطرت في المستشفى الى ابلاغ الموظفين الذين عرفوا باستقالتها، ان السبب في ذلك هو قبولها عرضاً من دايمون ثورن للعمل لديه في جزر البهاما كمربية لابنته. وفي احدى المرات التي كانت تكرر فيها جملتها هذه امام البعض، سألتها صديقتها جوانا دنهم بتعجب:

«ولكن يا ايما، الم تكن بينكما في السابق علاقة حميمة الى حد ما؟ اعني ان اسمه مألوف جداً! اليس هو ذلك الثري الاميركي الذي...؟».

وتعمدت جوانا عدم اتمام جملتها خشية احراج صديقتها.

«انه في الحقيقة نصف اميركي، فوالدته بريطانية! والجواب على الشق الأول من سؤالك هو نعم. كنت اعرفه... ولكن ليس الى الدرجة التي تتصورين».

«في اي حال يا حبيبتي، اعتقد انك تقومين بخطوة جيدة. العمل في المستشفى رائع من جميع جوانبه، ولكني مستعدة للتضحية بالكثير للتمتع بحرارة الشمس ودفئها».

تظاهرت ايما امام الجميع بأن الاستقالة صادرة عنها بمحض ارادتها وبناء على قرار مدروس، وليس نتيجة اكراه او ابتزاز كما حدث فعلاً. وكان ندمها الوحيد ان رئيسة المستشفى، التي منحتها ثقتها وساعدتها وافسحت امامها مجال الترقية، قد تشعر الآن بأن ايما تخلت عنها بمثل هذه السرعة واللامبالاة، ولكنه يستحيل عليها شرح الموضوع للرئيسة بدون ان تتحدث عما جرى لشقيقها... وهذا امر غير وارد بالنسبة اليها. بالرغم من انانيته وانكاليته وضعف شخصيته، فانه لا يزال شقيقها الذي تحبه وتسعى لانقاذه ومساعدته بشتى الوسائل.

في الليلة الأخيرة لوجودها في المستشفى، اقامت الممرضات حفلة وداع لها. ثم توجهت خمس ممرضات معها الى شقتها، وانضم اليهن طالبان من كلية الطب وخطيبا اثنتين من الممرضات، بالاضافة الى جوني وصديقه مارتن وبستر، واقام الجميع حفلة اخرى اتسمت بالمرح والصخب. ولاحظت ايما بانقباض ان وقتاً طويلاً جداً سوف يمر قبل ان تتمكن مرة اخرى من التمتع بحفلة كهذه. رقصوا... لعبوا... مازحوها حول طريقة الحياة التي ستعيشها، وكان يبدو على الجميع انهم يحسدونها على حياتها الجديدة. حتى ان ايما نفسها بدأت تفكر جدياً بأن الأمور لن تكون

سيئة الى الحد الذي تتصوره. فدايمون ثورن لن يمضي وقتاً طويلاً في ناسو. فاعماله كثيرة جداً، واهتمامه البالغ بقوة امبراطوريته واتساع رقعة انتشارها في العالم سيضطره الى السفر معظم ايام السنة. كما انه لن يفضل الجزيرة، بالرغم من جميع حسناتها ووجود ابنته فيها، على العواصم والمدن الكبيرة التي تتركز فيها شركاته ومعظم اعماله ونشاطاته.

توجهت ايما الى المطبخ لاعداد القهوة. خلال وجودها هناك، رن جرس الباب فذهب جوني لفتحه وهو يظن ان احد الجيران سوف يتذمر من الضجيج. الا ان الدهشة اصابته وعقدت لسانه عندما وقع نظره على اخر انسان يتوقع حضوره... دايمون ثورن.

ولما اطلت ايما وشاهدت دايمون، احست بأن قلبها توقف عن الخفقان. تراجع جوني خطوة الى الوراء وهز بكتفيه ثم قال بشيء من السخرية:

«هل تريد الدخول، يا سيد ثورن؟».

لم يجبه دايمون بل حتى لم ينظر اليه. تجاهله كلية، ودخل الى القاعة فتوقف الجميع عن الرقص. اقتربت منه ايما فسألها وهو يتفحص الفوضى التي تعم الشقة:

«هل يمكن ان اتحدث معك قليلاً؟».

«اجابته بتردد:

«انا... اوه... كما ترى... اننا... الا يمكن الانتظار حتى الصباح؟».

«لا، لا يمكن الانتظار. يمكننا التحدث في المطبخ».

وتوجه فوراً نحو المطبخ وقفت ايما عابسة ومضطربة في ذلك المطبخ الصغير فيما استند دايمون الى الباب كي لا يتمكن احد من فتحه. وفور دخولهما، عاد الهرج والضحك الى اجواء الغرفة المجاورة فشعرت ايما بشيء من الارتياح وزال عنها بعض انقباضها.

«ماذا تريد؟».

تأملها دايمون من رأسها حتى اخمص قدميها ثم عادت نظرته لتتركز على شفتيها مما ضايقها واثار مشاعرها. فعلى الرغم من سنه، يبدو قوياً وحيوياً اكثر من الشبان الموجودين في قاعة الجلوس. فهم صغار بالمقارنة معه... من حيث الشخصية والخبرة ... والجاذبية الحقيقية.

«جئت لأتأكد بنفسي انك ستحافظين على الشق المتعلق بك من الصفقة. اخبرك جوني طبعاً، ان جميع مشاكله سويت بطريقة نهائية».

«لم يذكر لي شيئاً من هذا القبيل. في اي حال، انا متأكدة من انك احتفظت باثباتات كافية لادانته فيما لو تجرأت انا على الانسحاب في هذه المرحلة».

«كم انت على حق يا ايما».

ثم اشار الى الغرفة المجاورة ومضى الى القول:

«اعتقد انها حفلة وداعية، اليس كذلك؟».

«نعم. هل هذا كل شيء».

«لا، ليس تماماً. اني متوجه الى هونغ كونغ غداً صباحاً، وهذا هو السبب الفعلي لمجيئي الليلة. لن اتمكن من رؤيتك قبل سفرك. الآنسة ولدن ابلغتني بأن جميع اوراقك جاهزة. كذلك ستجدين كريس ثورن في استقبالك هناك.

ردت عليه بكلمة واحدة:

«نعم».

«عظيم».

ثم هز رأسه وابتسم قائلاً:

«لماذا تبدو عليك هذه التعاسة كلها يا ايما؟ اني اضمن لك بأنك لن تجدي الحياة هناك مملة على الاطلاق. فسانت دومينيك قريبة بما فيه الكفاية من مكان اقامتنا، كي توفر لك جميع اسباب التسلية والترفيه عن النفس التي تجدينها في اي مكان هنا».

برقت عيناها غضباً وقالت له بعصبية:

«انك لن ترضى بأن اقول لك أني افضل بلادي الباردة والفاترة، على اي مكان اخر في العالم. لندن بالنسبة الي هي موطني ولا اريد الذهاب الى جزر في المحيط الاطلسي مهما كانت جميلة ورائعة».

«هذا يظهر جهلك لمثل هذه الأمور. ففي هذا الموضوع، كما في غيره، تظنين انك اكثر اطلاعاً من غيرك. هل لا زلت تعتقدين ذلك يا ايما؟».

«اذهب، ارجوك!».

«بكل سرور».

هز رأسه محيياً وغادر الشقة دون الالتفات الى الآخرين. اقتربت منها جوانا وسألتها بتعجب ودهشة:

«هل هذا هو رب عملك الجديد؟».

اومأت برأسها علامة الايجاب، فشهقت جوانا قائلة:

«ايتها المحظوظة! انه رائع، اليس كذلك؟ رباه، لو كنت في مكانك لرقصت فرحاً وابتهاجاً!».

«اوه، جوانا، ان الأمر ليس كما تتصورين على الاطلاق».

بدا التشكك على وجه الصديقة التي قالت:

«اسمعي يا عزيزتي! اذا كان صحيحاً ما يقولون من انكما كنتما على علاقة وثيقة قبل بضع سنوات، فما عليك الا ان تحاولي جهدك لاعادة المياه الى مجاريها».

ثم ابتسمت وأضافت:

«انك في الخامسة والعشرين، ومعظم من هن في سنك متزوجات منذ بعض الوقت».

ارغمت ايما نفسها على الابتسام وقالت:

«انا انسانة تهتم بعملها قبل اي شيء اخر، الا تعلمين ذلك؟».

ولكنها عندما استلقت في سريرها تلك الليلة، لاحظت ايما بحزن وأسى، ان الدموع تنهمر من عينيها رغماً عنها. فلو ان جوانا تعرف حقاً ماذا كانت تقول لها... لو انها كانت تدرك ماذا رفضت قبل بضع سنوات، لما كانت عذبتها وآلمتها بتوبيخها على عدم زواجها! آه لو ان صديقتها تعرف كم من فرصة اتيحت لها قبل سبع سنوات لتكون اسعد امرأة في العالم... ولكنها لم تتمكن من انتهاز اي منها...

٣- الرجل الثاني

اكتشفت ايما ان الترتيبات المعدة لرحلتها الى ناسو لم تكن قاسية ومرهقة كما تصورتها.

وعندما حطّت الطائرة الضخمة في مطار نيوبروفيدانس الدولي وأنهت ايما جميع معاملاتها، ودّعت الأشخاص الذين تعرّفت اليهم اثناء الرحلة ثم توجهت بمفردها الى خارج المبنى الرئيسي. كان الطقس رائعاً والسماء زرقاء صافية، والارتياح بادياً على وجوه العاملين في المطار الذين يرتدون ثياباً خفيفة بيضاء، بعكس ايما التي كانت لا تزال مرتدية ثياباً شتوية سميكة لا تناسب الأجواء الدافئة.

وقفت تتطلع حولها علها تشاهد احداً يشبه دايمون ثورن. فاذا كانت هذه الفتاة كريس احدى قريبات دايمون فانه سيكون بينهما بعض أوجه الشبه. الا انه لم تكن هناك قرب المدخل اي فتاة سوداء الشعر، بل كان شاب طويل القامة شعره نحاسي اللون ينظر اليها متأملا وفاحصاً.

خجلت من كثرة تحديقه بها، فاستدارت الى الناحية الأخرى، وهي تتساءل ما اذا كان من الأفضل ان تذهب لشرب فنجان من القهوة بعد ابلاغ مكتب الاستعلامات عن اسمها ومكان وجودها. لم يكن من الحكمة مطلقاً ان تستقل سيارة اجرة وتذهب الى المدينة، لأنه لم تكن لديها ادنى فكرة عن عنوان البيت الذي ستتوجه اليه.

حملت حقيبتها واستدارت نحو المبنى الرئيسي. تحرّك الشاب فجأة وسار نحوها بسرعة. وفيما كان يقترب منها تساءلت ايما مَنْ يكون هذا الشاب الوسيم والجذاب الذي لا يتجاوز الثلاثين من عمره!

«أنا آسف لأنك بدأت تشعرين بالازدراء نتيجة تأملي لك. ولكنني قدّرت في نهاية الأمر انك لا بد ان تكوني ايمّا هاردينغ. هل أنا على حق؟».

نظرت اليه ايمّا بارتياح، وقالت:

«نعم، أنا هي بعينها. هل جئت لملاقاتي؟».

وعندما اومأ برأسه علامة الايجاب، تابعت حديثها قائلة:

«اوه، شكراً، شكراً. كنت قد بدأت اشعر بشيء من الخوف والارتباك... يبدو ان ابنة عم السيد ثورن نسيتني تماماً».

«ألم يقل لك دايمون انني سأكون في استقبالك؟ اعني انني كنت على وشك الاصابة بخيبة أمل كبيرة لأنك لم تنظري ابداً تجاهي».

«هل انت كريس ثورن؟».

«طبعاً».

ضحكت وقالت:

«لا تسألني لماذا كنت اتوقع فتاة بانتظاري! منذ ان ذكر الاسم امامي للمرة الاولى اعتبرت ان كريس هو تصغير لاسم كريستين».

أخذ حقيبتها وسار نحو سيارة بيضاء رائعة ووضعها في صندوقها، وفيما كان يفتح الباب لايمّا، قال لها بهدوء وبابتسامة رقيقة:

«كريس تصغير ايضا لاسم كريستوفر. وبكل صراحة أقول لك انك لم تكوني كما توقعتك. فأنت اكثر شباباً... وأكثر جاذبية وجمالاً».

احمرّت وجنتاها خجلا وقالت بحياء وسرور:

«شكراً لك على هذا الاطراء. لقد عوّضت عن خوفي وترقّبي».

كانت رحلة السيارة مع كريستوفر ثورن الى ناسو ممتعة للغاية ولا تنسى. فقد اختار الطريق الساحلي لتشاهد اكبر قدر من المناظر الطبيعية الخلابة. وقالت ايمّا لنفسها انها لن تتمكن ابداً من وصف هذا المكان لشقيقها او صديقاتها في لندن بدون استخدام الكلمات الشاعرية الرنانة والتي توجد عادة في الكتيبات السياحية الدعائية. ومع انها ظلّت تؤكد لنفسها ان جزر البهاما ليست المكان المفضل لاقامتها، فانها لم تتمكن الا من ابداء الاعجاب الشديد بالشواطىء التي تبهر الأنظار بجمالها وروعتها. كما ان الأسماء التي اطلقت عليها جذابة وناعمة... شاطىء الحب، شاطىء العشاق، شاطىء النعيم...

التفت كريس نحوها وأشار الى أحد ملاعب الغولف الشهيرة الى يمينها قائلا بتكاسل:

«هناك أوجه نشاط متعددة للغاية. سباحة، تزلّج على الماء، غطس في الأعماق، هل تمارسين السباحة؟».

«نعم بالتأكيد. ولكني لم أجرب ابداً الرياضتين الاخيرتين».

ردّ مبتسماً بمرح وزهو واضحين:

«سوف تجربينهما. ساعلّمك أنا نفسي».

كانت ناسو تعجّ بالناس في مثل ذلك الوقت، ولكن كريستوفر تمكن ان يشقّ طريقه بين مئات من راكبي الدراجات وسيارات الاجرة وعربات الخيل ليصل بعد قليل الى باحة فندق ضخم.

«هيا، غرفتك محجوزة سلفاً. اعتقد انك بحاجة الى حمام بارد وثياب صيفية خفيفة».

هزّت برأسها موافقة.

تركته في القاعة الرئيسية وصعدت الى غرفتها يرافقها الحمّال الصغير، الذي أوصل لها الحقيبتين وقبض بقشيشه ثم حيّاها باحترام وغادر الغرفة. واستغربت ايمّا لماذا أزعج كريستوفر نفسه وحجز لها غرفة مع حمام داخلي في مثل هذا الفندق الحديث مع انهما سيتوجهان بعد الغداء مباشرة الى سانت دومينيك. استحمّت وارتدت ثياباً خفيفة ثم نزلت الى القاعة الرئيسية وهي تشعر بأنها مستعدة لمواجهة العالم. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة وبدأت تشعر بجوع حقيقي. وسرّها جداً ان تجد كريستوفر يهب لملاقاتها بمجرد خروجها من المصعد وهو يقول لها مبتسماً:

«هيّا، هيّا! اني اتضوّر جوعاً!».

«وأنا كذلك!».

وسمحت له بامساك يدها فيما كانا يسيران نحو المطعم. وكانت طاولتهما التي حجزها كريستوفر في وقت سابق تطل على المرفأ. وطلبت ايمّا ان يقترح عليها ما يجب ان تأكله. فطلب غداء شهياً اختتماه بفنجانين من القهوة لكل منهما.

«هل اعجبك الغداء؟».

ابتسمت واجابته بارتياح ظاهر:

«انت تعرف انه اعجبني».

«ماذا كنت تفعلين في لندن؟ أعني... اعرف انك كنت ممرضة، ولكن ماذا كانت هواياتك؟ هل كنت تسهرين كثيراً او بالأحرى تمضين وقتاً طويلا خارج المنزل؟».

هزّت ايمّا رأسها نفياً وقالت:

«لا، ليس كثيراً كنت احضر بعض المحاضرات... وعدداً من المسرحيات الجيدة بين الحين والآخر. احب الحفلات الموسيقية ومعظم أنواع الموسيقى، كما أنني أهوى المطالعة الى اقصى الحدود».

بدا الاهتمام على وجه كريستوفر وفي عينيه، وسألها:

«ما هي كتبك او موضوعاتك المفضلة؟».

«اني أقرأ كل شيء تقريباً. تعجبني القصص البوليسية والعاطفية...».

«هل قرأت قصص كريسمس هولي؟».

«كريسمس هولي؟ أوه، طبعاً! انه ذلك المحقق الخاص الذي يكتب عنه مايكل جفريز. انها قصص لا بأس بها على الاطلاق. اعتقد انني قرأت اثنتين او ثلاثاً منها».

ابتسم كريستوفر بمكر وقال بتعجب:

«قرأت اثنتين او ثلاثاً فقط! ألم تعرفي انني كتبت سبعاً وعشرين من هذه القصص التي...».

قاطعته بدهشة وسرور بالغين:

«أنت مايكل جفريز! ما أروع ذلك! انني الآن بصحبة الرجل الذي خلق الشخصية الذكية المحببة، كريسمس هولي! انه اسمر جميل جداً. كيف اخترت هذا الاسم بالذات؟».

«كريسمس اسم لا يختلف كثيراً عن كريستوفر وهولي نبات شوكي مما يتفق مع اسم عائلتي ثورن، اي الشوكة. انه تلاعب في الأسماء والمعاني. وحتى اسم التأليف المستعار ليس في الحقيقة مستعاراً، فاسمي الكامل هو كريستوفر مايكل جفري ثورن».

علّقت ايمّا بحماس ظاهر:

«اعتقد ان الأمر مثير للغاية. فالكتابة اساس القراءة، وأنا لم التق كاتباً

او مؤلفاً في حياتي. هل تسكن في سانت دومينيك؟».

«لا».

وهزّ رأسه ثم تابع حديثه عندما لاحظ عليها الانزعاج وخيبة الأمل:

«اني اسكن في سانت كاترين القريبة جدا من مكان اقامتك. انها في الحقيقة لا تبعد اكثر من أربعة كيلومترات تقريباً، مما يعني انك ستصبحين جارتي. وسيكون من دواعي سروري التحدث الى شخص يعجبه عملي».

«عظيم، أوه، بالمناسبة... من يسكن في سانت دومينيك، بالاضافة الى انابيل طبعاً؟».

هزّ كتفيه وقال:

«هناك تانزي المربية العجوز التي اعتقد انك ستحبينها. كانت مربية دايمون في صغره. وهناك المعلمة لويزا مريديث، وبالطبع بعض الخدم».

«يبدو بالتأكيد ان انابيل ليست بحاجة لي على الاطلاق. فلديها مربية ولديها معلمة وحاضنة!».

نظر اليها كريستوفر بجدية وقال وهو يهز رأسه معترضاً:

«أظن انك على خطأ. فتانزي طاعنة جداً في السن ولم تعد بالتالي قادرة على الاهتمام كثيراً بطفلة في السادسة من عمرها، وخاصة في وضع انابيل. اما لويزا فانها.. الى حد ما.. من غير فائدة. أوه، انها تعلّم انابيل القراءة مستخدمة اسلوب برايل للأحرف النافرة، كما انها تتحدث اليها ومعها، واعتقد ان انابيل تتعلم منها الكثير. ولكنها من الناحية الأخرى ليست الرفيقة الصحيحة لها. فالطفل يجب ان يعامل كندّ لا ان تنظر اليه كمخلوق تافه يتعلم كالببغاء وينفّذ الأوامر بدون حق في المناقشة او الاستفسار المنطقي. لويزا لا يمكنها ابداً ان تنسى نفسها بما فيه الكفاية لتلعب مع الطفلة. انها متزمتة ومتحجرة».

تنهدت ايمّا بعد سماعها هذا الشرح الوافي وسألته بهدوء:

«ومن كان يهتم بأنابيل فعلياً حتى الآن؟».

«برندا لوسن، شابة في الثلاثينات من عمرها تزوجت رجل اعمال اميركياً متقاعداً، قرر ان ينقل مكان اقامته الى منطقة أقل صخباً وضجيجاً».

ثم وقف وسألها:

«هل أنت مستعدة؟».

اومأت ايما برأسها ايجاباً وسمحت له بأن يساعدها على النهوض ثم خرجا من المطعم. وفي القاعة الرئيسية توقف لحظة وسألها:

«كيف وجدت غرفتك؟».

«جيدة جداً، شكراً».

ثم انتبهت الى انه يعني شيئا آخر، فعقدت جبينها قليلا وسألته:

«هل ستمضي الليلة في هذا الفندق؟».

ابتسم كريستوفر وأجابها بدماثة:

«هذه هي الفكرة. هل من اعتراض لديك؟».

دهشت ايما وردّت عليه باستغراب ظاهر:

«من المؤكد انك تمزح! اعني انني فهمت من التعليمات المعطاة لي بأننا سنتوجه الى سانت دومينيك بعد الغداء مباشرة!».

علّق كريستوفر ببرودة قائلا:

«تعليمات دايمون! اسمحي، قد يكون دايمون الرجل الكبير وصاحب الكلمة النافذة في بريطانيا والولايات المتحدة ولكنه هنا ليس اكثر من ابن عم لي، وأنا الذي أقرر كافة الخطوات والتفاصيل. ألا تريدين البقاء؟».

تنهّدت ايما واجابته بهدوء:

«ان المسألة لا تتعلق بالتأكيد بما أشعر به او اريده».

«حسناً! قرري!».

أحنت ايما رأسها قليلا كي تتفادى نظراته وقالت:

«أرجوك، لا أريد التسبب بأي مشاكل...».

«اذن، نبقى. ما من احد سيحصي عليك تحركاتك هنا... فانت لست في مستشفى كما تعلمين. الحياة هنا تسير بخطوات معقولة، اذ لا احد يرغب في الركض نحو حتفه».

ثم ابتسم وأضاف قائلا بهدوء ملحوظ:

«كفانا فلسفة ومحاضرات. اريدك ان تبقي كي تشاهدي الجزيرة مع دليل سياحي تعجبك قصصه. نيو بروفيدانس منطقة رائعة».

كانت ناسو المحطّ الأول في جولتها. وأخذها كريستوفر الى سوق القش، حيث اشترى لها قبعة كبيرة تحمي رأسها وعينيها من حرارة الشمس

القوية. ثم انتقل بها الى شارع مكتظ بالمحال التجارية التي تغص بالسياح من كل حدب وصوب. الا انهما لم يبتاعا شيئا، اذ انه لم تكن لديها اي رغبة في الوصول الى سانت دومينيك وهي تحمل كميات ضخمة من الهدايا التي ستعود بها الى لندن بعد فترة طويلة.

وتجولا في الميناء حيث شاهدت ايما جميع أنواع الزوارق والمراكب الشراعية واليخوت، ثم استأجر كريستوفر عربة تجرها الجياد وتجولا في جميع انحاء المدينة كسائحين يمضيان عطلة في تلك الجزر الخلابة. وكانت بعض الطرائف التي اخبرها اياها رفيقها ودليلها المثقف، اقرب الى الخيال منها الى الحقيقة. واهتمت ايما كثيراً بتاريخ الجزيرة لدرجة انها عزمت على شراء بعض الكتب التي تتحدث عنها، وذلك في اول مناسبة متاحة لها.

وبعد فترة من الزمن ذهبا الى الشاطىء حيث سبحا في مياه دافئة ونظيفة أغرت ايما بالبقاء فيها طوال فترة ما بعد الظهر. وكان كريستوفر يتعمد اغاظتها مازحاً بدفعها تحت الماء باستمرار. ولما خرجت من المياه المنعشة والقت بنفسها على المنشفة الكبيرة التي أحضرها لها كريستوفر، شعرت بلذة وارتياح عظيمين. وكادت ان تصدق تصورها بأنها حضرت الى جزر البهاما بمحض ارادتها وليس لأن دايمون ثورن لم يترك لها مجالا آخر.

اثبت كريستوفر انه رفيق ممتع للغاية. ومعرفته الوثيقة بالمنطقة وسعة اطلاعه في الحقلين التاريخي والاجتماعي، كانتا مثار اعجابها واهتمامها. وكانت ايما تصغي اليه بانتباه بالغ فيما كان يحدثها عن العبيد الذين احضروا الى جزر الهند الغربية.

«المساكين التعساء! تحرروا من نوع من العبودية ووقعوا في آخر. في الولايات الجنوبية يضمنون لأنفسهم على الأقل الغذاء والمأوى. اما هنا فكان البعض منهم في بادىء الأمر يموت من شدة التعب والارهاق».

وتنهد كريستوفر ثم تابع حديثه قائلا:

«كان البيض في تلك الأيام يعتبرون الافارقة شعباً يحتاج الى الزعامة والنظام القاسي كي يتمكن من العيش. لم يكونوا يصدقون ان ابناء هذا الشعب قادرون على تأمين الاكتفاء الذاتي والعيش بكرامة بدون حاجة للاستعباد والسيطرة».

حركت ايما رأسها تحت قبعة القش الكبيرة وقالت بهدوء:

«اني اعجب لماذا لا تكتب عن الجزر أو تتناول بعض عاداتها وتقاليدها في قصصك! كتبك تدور دائماً حول موضوعات اميركية بحتة».

ابتسم كريستوفر ورفع نفسه على مرفقه مقترباً بذلك الى حد كبير منها، ثم قال بمرح:

«أساليب يا عزيزتي، أساليب! كتبي ناجحة جداً في الولايات المتحدة، وهي مورد رزقي الوحيد. فمن أكون أنا لأخيّب آمال قرائي؟».

«مرتزق استغلالي!».

قالتها مبتسمة ثم استلقت مرة اخرى على ظهرها وقد بدأت تشعر بالنعاس بسبب الحر والتعب. اقترب منها كريستوفر وسألها بهدوء ومودة:

«ألست مسرورة لأننا لم نذهب الى سانت دومينيك اليوم؟».

فتحت ايما عينيها وأجابته بارتياح:

«اذا كنت تسألني عما اذا كنت أمضي وقتاً ممتعاً، فأنت تعرف ان الجواب هو نعم. ولكني اشعر بالذنب كلما فكرت بالموضوع».

«اذن، لا تفكري! فما من احد يتوقع وصولنا. اخبرت انابيل انني لن اعود اليوم».

شعرت ايما بالاستياء وسألته بشيء من الحدة:

«هل فعلت ذلك حقاً؟ هل كنت متأكداً الى هذا الحد من أن جاذبيتك وسحرك سيحملاني على البقاء مهما كنت وكانت عليه آرائي ومبادئي؟».

ضحك كريستوفر بمكر وقال:

«يا عزيزتي، لو كنت لويزا مريديث أخرى لكنّا عدنا اليوم بكل تأكيد».

ابتسمت ايما وقالت:

«أوه، حسناً! اعتقد ان يوماً اضافياً لن يؤثر كثيراً على أحد».

عادا الى الفندق بعد السادسة بقليل، وأبلغها كريستوفر بأن غرفته تقع في طابق أسفل. وقال لها وهو يهم بمغادرة المصعد انه سينتظرها على الشرفة الغربية لتناول بعض المرطبات والفاكهة قبل ذهابهما الى العشاء. تابعت ايما طريقها الى غرفتها حيث استحمّت وارتدت فستاناً طويلا خاطته بنفسها لحضور حفلة راقصة قبل عيد الميلاد. وفرحت كثيراً لأنها احضرت فستان السهرة هذا، اذ ان كريستوفر كان يستقبلها وقد ارتدى سترة بيضاء رسمية فوق قميص حريري جميل وربطة عنق انيقة. نظر اليها باعجاب قائلا:

«تبدين رائعة! هل قلت لك ان طريقتك في اختيار الملابس تعجبني كثيراً؟».

«سيد ثورن، انك تغازلني مرة أخرى!».

ابتسم وردّ عليها بمرح ظاهر:

«لا، أنا لا أغازلك... واعني ما أقول. ثم... لا تنسي ان الاسم هو كريس!».

اجابته بهدوء وهي تقبل منه بامتنان احدى سكائره التي أشعلها لها بتهذيب:

«لم أنسَ. وبالمناسبة، أريد أن أشكرك جداً على كل شيء. كان يوماً رائعاً».

«لا تشكريني، أنا الذي يجب أن اشكرك».

ثم نظر اليها بجدية ومضى الى القول:

«مهما كنت تظنين، فأنا لا أجد كل امرأة التقي بها جذابة مثلك يا ايما».

«شكراً لك مرة أخرى».

بعد العشاء، توجّها الى قاعة الرقص ورقصا على انغام فريق من العازفين المحليين الذين برعوا الى حد كبير في المقطوعات الايقاعية والتقليدية الهادئة. ورقصت ايما مع كريستوفر عدة مرات كما انها رقصت مرتين مع رجلين في الخمسينات من عمرهما.

أعجبها رقصه كثيراً... فخطواته خفيفة ومدروسة، وأسلوبه رفيع وراق، ورائحته عطرة ونظيفة، و...

«انك تجيدين الرقص الى حد كبير».

ردّت عليه باسمة:

«لا تعتقد ان الممارسة هي السبب، فأنا لم أرقص كثيراً في لندن».

لم يصدّقها على ما يبدو. ماذا سيقول يا ترى لو انها قررت اطلاعه على حقيقة علاقتها مع دايمون؟ من الواضح ان أفراد عائلته واقرباءه نسوا تلك العلاقة. كيف لا، وهم لم يلتقوا بها أبداً! كانت بالنسبة اليهم مجرّد اسم... واختفى... منذ عدة سنوات!

في الحادية عشرة والنصف، خرجا الى الشرفة لتنشق الهواء العليل والتمتع بضوء القمر الساطع. كانت السماء صافية جداً تملأها النجوم

المتلألئة التي تتألق بزهو واعتزاز. انها حقاً أمسية رائعة و...

«ما رأيك في أن نستأجر عربة ونقوم بجولة ليلية في المدينة؟».

تطلّعت نحوه فشاهدته ينظر اليها بحماس وترقب. ترددت قليلا ثم هزّت رأسها قائلة:

«شكراً على الدعوة ولكنني مضطرة لرفضها. فالوقت متأخر، وغداً سيكون يوماً حافلا بالنسبة اليّ. اعتقد انني سأذهب الى النوم، ان لم يكن لديك أي مانع».

شعرت بخيبة أمله واضحة وجلية عندما قال لها:

«أوه، ايمّا! هذا يعني انك ذاهبة ان قبلت او اعترضت».

ثم هزّ كتفيه مستسلماً للواقع وأضاف:

«حسناً، سأوصلك الى غرفتك».

اجابته بتهذيب وهدوء:

«ليس من الضروري ان تفعل ذلك».

«اعرف، ومع ذلك فاني سأرافقك حتى الغرفة».

أحرجها اصراره قليلا وأحسّ هو بذلك، فقال لها وهما يدخلان المصعد:

«لا تقلقي، فأنا لا أتوقع تجاوز باب الغرفة. كل ما في الأمر انني أريد الاطمئنان على وصولك بسلام. فالمصاعد والممرات تعج بالأشقياء والاشرار».

ضحكت ايمّا بمرح وارتياح حقيقيين، وقالت:

«حقاً يا كريس؟ انك حارس امين!».

ولما وصلا الى الغرفة وفتحت ايمّا بابها، وضع كريس يديه على كتفيها وسألها:

«تمتعت بيومك هذا، أليس كذلك؟».

هزّت ايمّا رأسها وأجابته باسمة:

«الى اقصى الحدود».

«عظيم. تصبحين على خير يا ايمّا».

ثم احنى رأسه وعانقها، فاستجابت له بصورة عفوية. تراجع فجأة الى الوراء وقد ازدادت سرعة تنفسه واصفرّ وجهه قليلا. ثم شدّ على يديها

وقال لها متمتماً:

«سأذهب على الفور».

راقبته ايمّا وهو يسير بسرعة نحو المصعد ويختفي بداخله دون ان يلتفت الى الوراء. دخلت غرفتها وأقفلت الباب وهي تشعر بالرضى والارتياح، على الرغم من الارهاق الجسدي.

www.elromancia.com

٤ - عينان باردتان

سانت دومينيك جزيرة صغيرة هادئة تقع على بعد بضعة كيلومترات من ناسو. وذلك الصباح فيما كان كريس وايما يتوجهان اليها بزورق سريع، راحت الممرضة الشابة تتأمل باعجاب عشرات الجزر الصغيرة المنتشرة هنا وهناك.

أوقف البحار زورقه قبل بضعة امتار من الشاطىء مخافة ان يغرز المحرك في الرمال. ارتدى كل من الرجلين سروالاً خاصاً بالخوض في الماء ونزلا من الزورق. وفيما حمل كريستوفر ايما الى الرمال الجافة، تولى صاحب الزورق حمل حقيبتيها ووضعهما قربها. حملها كريس واوما برأسه شرقاً، ثم قال:

«هيا بنا! كنت اعتقد أن الآنسة مريديث التي يمكن الاتكال عليها سوف تحضر انابيل لملاقاتك هنا».

تنهدت ايما وسارت معه عبر حزام من اشجار النخيل الوارفة. وخلال دقائق وصلا الى فسحة كبيرة بين الشجر حيث توجد عدة اكواخ من القش يعيش فيها الخدم الذين في منزل دايمون. وشاهدت ايما بعد تجاوزها القرية الصغيرة مجموعة اخرى من الاشجار التي تخفي وراءها البيت نفسه.

منزل جميل حقاً! منخفض وحديث البناء، ولكنه ليس غريباً او غير مألوف بالنسبة الى المنطقة ككل، والى الجزيرة بشكل خاص. انه منسجم جداً مع محيطه... والحديقة المحيطة به اخاذة تبهر الانظار، زهوراً وهندسة. بضع درجات عريضة تؤدي الى باب ابيض ضخم كان مفتوحاً على مصراعيه. تطلع كريستوفر نحو ايما واوما برأسه الى القاعة قائلاً:

«هيا، ادخلي! لن يعضك احد!».

فور دخولهما، نزلت نحوهما من على درج داخلي متعرج سيدة طويلة القد نحيلة القوام اخذت على الفور تتفحص ايما بعينين باردتين ونظرات متحفظة. وضع كريستوفر حقيبتي ايما على الأرض وابتسم الى السيدة قائلاً:

«يا للصدفة الرائعة! لويزا التي لا تقدر بثمن! كيف حالك يا حبي القديم؟».

تجاهلته لويزا تماماً وتقدمت نحو ايما وهي تسأل ببرودة:

«انت بلا شك الآنسة هاردينغ. كنا نتوقعك امس».

احمرت وجنتا ايما خجلاً، وارتبكت! ثم قالت لها بتلعثم:

«اوه! ولكني فهمت... اعني... السيد ثورن على ما اعتقد... يبدو...».

سيطرت على اعصابها ورفعت رأسها نحو تلك السيدة القاسية وسألتها:

«وانت معلمة انابيل ومربيتها، أليس كذلك؟».

حركت لويزا رأسها قليلاً اشارة الى الايجاب، وقالت بشيء من الحدة وهي تشير بيدها الى كريس:

«من الواضح ان... السيد ثورن لم يكن يفكر الا بنفسه. ولسوء الحظ كانت لتصرفه نتائج ومضاعفات غير سارة».

حدقت بها ايما وسألتها بكلمة واحدة:

«كيف»؟

«منذ ثلاثة ايام تركتنا الممرضة التي كانت تهتم بانابيل. وامس، عندما لم يكن هنا احد يتحدث معها او يسليها، خرجت تتجول بمفردها. ولسوء الحظ، وقعت في بركة السباحة. ولو لم يكن الخادم هندي في مكان قريب، لكانت الطفلة غرقت... لأنها لا تعرف السباحة».

اطلقت كلماتها تلك بلهجة قاسية خالية من الشعور او الاحساس وكأنها تقرأ نشرة الأحوال الجوية. صعقت ايما ولم تعرف ماذا تقول سوى كلمات قليلة جداً ولكنها نابعة من القلب:

«اني آسفة جداً».

ونظرت الى كريستوفر الذي تمتم بكلمات مفهومة ثم سأل لويزا:

«متى وقعت هذه الحادثة؟».

«بعد ظهر امس. وكما قلت، كان من حسن الحظ وجود هندي في مكان قريب مما مكنه من سماع صراخها. رأينا من الأفضل اليوم ان نبقيها في سريرها خوفاً من اي مضاعفات غير مستحبة».

«وانت، ماذا كنت تفعلين في ذلك الوقت؟ تقلمين اظافرك؟».

ردت عليه لويزا بغضب واستغراب، قائلة:

«لم تكن ضرورية ابداً هذه الملاحظة!».

وقالت ايما لنفسها انها فعلاً بداية مشؤومة. وتأملت تلك المعلمة التي تبدو في اواخر الاربعينات او بداية الخمسينات من عمرها، مع انها في الحقيقة لم تتجاوز الخامسة والثلاثين. وسمعت كريستوفر يرد عليها قائلاً:

«في اي حال، فإن ايما لم تكن لتصل قبل الخامسة بكثير حتى لو عدنا امس ولذلك، فليس بامكانك ان تلقي اللوم عليها».

«وهل قلت في اي وقت من الأوقات انني الوم الآنسة هاردينغ؟».

«اوحيت بذلك ضمناً. اوه، حسناً! يكفيك ثرثرة الآن حول هذا الموضوع. هل انابيل في غرفتها؟ سأراها قبل ان اعود».

وسار نحو الدرج ثم التفت نحو ايما قائلاً:

«تعالي يا ايما، سأعرفكما على بعضكما. اتركي حقيبتك هنا. لويزا، استدعي احد الخدم لينقل الحقيبتين الى غرفة ايما. واذا اخبرتني ايها ستكون غرفتها فسوف ادلها اليها ايضاً».

استدارت لويزا الى الناحية الاخرى وهي تقول بجفاف:

«انا لست مدبرة المنزل هنا».

«لا يا سيدتي، لست مدبرة المنزل. ولكن إما ان تفعلي ما اقوله لك واما سأرفع عنك تقريراً الى السيد ثورن».

لم تظهر اي بوادر قلق او انزعاج على وجه لويزا، بل ربما دلت ملامحها على الاستهزاء وعدم الاكتراث. ردت عليه ببرودة قائلة:

«ان الأمر ليس في الصعوبة التي تتصورها. من الطبيعي انني ابرقت للسيد ثورن حول حادثة ابنته. ارسلت البرقية صباح اليوم وقلت له فيها بالطبع ان الآنسة هاردينغ لم تصل بعد».

«ايتها...».

وخنق كريستوفر الكلمة البذيئة التي كان ينوي توجيهها الى لويزا، ثم التفت نحو ايما وقال لها:

«تعالي يا ايما. لا يمكنني تحمل المزيد من هذه التفاهات».

لحقت به ايما وهي تشعر بأن رأسها يدور في دوامة مزعجة. فلديها بالتأكيد شعور بالذنب، مهما حاول كريستوفر الدفاع عنها او اقناعها هي شخصياً بعكس ذلك. وتمنت الا يكون بقية الموظفين والخدم عدائيين معها كما هي لويزا بكل وضوح. وانتبهت الى انهما وصلا الى اخر الممر، حيث فتح كريستوفر الباب وحيا الطفلة الموجودة في الداخل قائلاً ببساطة:

«مرحباً يا انابيل!».

وسمعت ايما ضحكة طفلة هتف لها قلبها فيما كانت تلحق بكريستوفر الى داخل الغرفة. كانت انابيل ثورن تجلس في منتصف سرير ضخم يهيمن على غرفة مؤثثة ومزينة خصيصاً لطفلة صغيرة. ولاحظت ايما ان انابيل تتطلع نحو ابن عم والدها بملامح سارة ومحبة واضحة. وقالت ايما لنفسها ان الفتاة الصغيرة حولت الكثير من عاطفتها ومحبتها الى كريستوفر ربما بسبب تغيب والدها باستمرار. ولكنها احست ايضاً بشعور من الارتياح. فبعد مطالب دايمون النهائية والحاسمة اقنعت ايما نفسها بأن ابنته طفلة مريضة وبحاجة لخدمات ممرضة قانونية ومتمرسة وسمعت الصغيرة تنادي عمها بلهفة وحماس:

«كريس، كريس، عدت الينا! ما اروع ذلك! هل احضرت معك الآنسة هاردينغ؟».

امسك كريس بيد ايما واشار اليها بالجلوس على حافة السرير، فيما رد على قريبته قائلاً:

«نعم يا حبيبتي، انها هنا. وهي ايضاً فتاة طيبة جداً، فلا تسيئي معاملتها وتدفعيها الى الاستقالة».

ضحكت انابيل بمرح ومدت يدها باتجاه ايما قائلة:

«اهلاً بك».

«اهلا بك انت يا انابيل. كيف حالك الآن بعد غطسك في البركة؟».

تحولت ملامح الفتاة فجأة الى الجدية وقالت:

«الم تكن تلك حقاً خطوة سخيفة ورعناء من جانبي؟ كادت الآنسة

مريديث ان تصاب بنوبة عصبية. تانزي تضايقت وخافت ايضاً، ولكنها لم تغضب لدرجة كبيرة تدفعها الى ارسال برقية الى والدي. انه سيغضب كثيراً وسوف يؤنبني كثيراً على هذا التصرف».

رد عليها كريس بشيء من الحدة:

«سيكون له كل الحق. انابيل، بحق السماء، كدت تقتلين نفسك غرقاً!».

«اعرف، اعرف. الآنسة مريديث اخبرتني كل شيء. في اي حال، انها تبقيني الآن في البيت طوال الوقت، لأن برندا لم تعد معنا. برندا طيبة وحنونة... كانت تدعني اذهب اينما اريد».

ذكرها كريس بمعلومات بسيطة غابت عن بالها وهي ان برندا كانت ترافقها دائماً ولا تدعها تذهب بمفردها. ثم اضاف قائلاً:

«لا تقلقي بعد الآن يا صغيرتي. فالآنسة هاردينغ ستهتم بك من الآن وصاعداً وتأخذك اينما تريدين. اما بالنسبة الى ابيك، فإنه حالياً في هونغ كونغ واشك كثيراً في انه سيطير الاف الاميال لمجرد رغبته في تأنيبك وتأديبك.

تنهدت انابيل وقالت:

«آمل ذلك».

«الآن يا عصفورتي الحلوة، يجب ان اذهب. فأنا مضطر للقاء هيلين وابلاغها بعودتي. سأعود قريباً لزيارتك. سوف تهتمين بالآنسة هاردينغ، أليس كذلك؟».

بعد ذهابه اخذت ايما تفكر بهيلين ومن تكون. فهو لم يذكرها او يتحدث عنها من قبل. هل هي اخته، او ربما مديرة منزله؟ وهزت رأسها... ستعرف من هي في الوقت المناسب، فلماذا اضاعة الوقت بالتكهن؟ كل ما كانت تأمل به في تلك اللحظة هو الا يقرر دايمون ثورن العودة الى سانت دومينيك قريباً. كانت تأمل ايضاً في ان تتمكن من الاستقرار قليلاً في هذه الجزيرة قبل ان تضطر لملاقاته مرة اخرى. فوجوده قربها يثير شجونها وذكرياتها بشكل مزعج، كما انها تخاف من مشاعرها وعواطفها... بالرغم مما حدث في الماضي.

قطعت عليها انابيل تفكيرها عندما رفعت لعبة كبيرة قربها وقالت:

«انها باتريشيا. الا تعتقدين انها جميلة جداً؟».

خنقت ايما الكلمات التي كادت تتفوه بها. فاللعبة قبيحة المنظر ممزقة الرجلين واليدين، محترقة الشعر. نظرت اليها بحنان وشفقة، وقالت:

«طبعاً... طبعاً يا انابيل، انها جميلة».

واخذت اللعبة التي اعطتها اياها الفتاة الصغيرة، ثم اضافت:

«ما اجمل ثيابها! هل باتريشيا هي لعبتك المفضلة؟».

«نعم، انها معي منذ ان كنت في الثالثة من عمري. كانت معي ايضاً عندما... عندما...».

وتوقفت عن اتمام جملتها، فعرفت ايما السبب. مسكينة انابيل! لا عجب ان كان يبدو عليها الحزن والانقباض، فالحادثة المؤسفة التي حصلت لها ولوالدتها لا تزال تؤثر عليها الى حد كبير. ثم سمعتها تسأل بتهذيب:

«هل سأتمكن من الخروج غداً؟ قالت الآنسة مريديث يجب ان امضي هذا اليوم في غرفتي بسبب الصدمة التي حدثت لي امس. ولكنني لست مضطرة للبقاء غداً، اليس كذلك... خاصة وقد اتيت انت؟».

«طبعاً لا. غداً صباحاً سنقوم سوية بنزهة في بعض انحاء الجزيرة وتخبريني عنها بالتفصيل».

«عظيم. كنت اعرف الجزيرة تمام المعرفة. قبل... قبل الحادثة، كنا انا ووالدي نأتي اليها كثيراً».

سمعت ايما صوتاً في الممر المؤدي الى غرفة الطفلة فالتفتت لتشاهد امرأة مسنة تدخل الغرفة وهي تتكىء باجهاد على عصا. الا ان وجهها كان مضيئاً ومشرقاً، حتى بتجاعيده الكبيرة والمتعددة. وابتسمت بحرارة لايما التي وقفت لاستقبالها. واحست الطفلة بوجود المربية العجوز فسألت بلهفة:

«هل هذه انت يا تانزي؟».

«نعم يا حبيبتي. اتيت لأدل الممرضة الجديدة على الغرفة المخصصة لها. اتصور انها قد ترغب بالاستحمام قبل تناول طعام الغداء».

هزت ايما برأسها امتناناً، اما الطفلة فعادت الى السؤال:

«هل بامكانها ان تأكل هنا، معي؟ هل بامكانها، يا تانزي؟».

«لا ارى اي مانع، ان كانت الآنسة تريد ذلك».

ثم تطلعت نحو ايما وقالت:

«كما سمعت، فإن الجميع ينادونني تانزي. اسمي الحقيقي هو هستر تانزفيلد ولكن يمكنك مناداتي تانزي كما يفعل الآخرون. انت هاردينغ، أليس كذلك؟».

«نعم. تشرفت بمعرفتك».

ثم تطلعت نحو انابيل وقالت:

«اني متأسفة جداً لعدم تمكني من الوصول امس. الحادث... من المؤكد انه كان مرعباً ومزعجاً».

«هيا، انسي الموضوع. اننا لا ندع هذه المشاكل الصغيرة تؤثر علينا، أليس كذلك يا حبيبتي انابيل؟ نعم، كان حادثاً مزعجاً... ولكن الحوادث تقع. تلك المخلوقة مريديث وحدها اصيبت بهلع وذعر شديدين الى درجة السخافة والغباء، مما جعلها ترسل برقية الى السيد ثورن! من المؤكد انه سيتصور ان الفتاة جرحت نفسها مثلا او تأذت كثيراً بشكل او بآخر. انابيل لم تبق في الماء اكثر من ثلاثين ثانية».

اثناء الغداء، قدمت انابيل لمرضتها ورفيقتها الجديدة تقريراً مفصلاً عن حياتها في سانت دومينيك:

«امضي ساعات الصباح عادة مع الآنسة مريديث، ثم اتناول غدائي وارتاح ساعة كاملة وبعد ذلك، كانت برندا، الآنسة لوسن، تأخذني في نزهات داخل الجزيرة. وكنا نطلب احياناً من كارلوس ان يأخذنا بنزهة بحرية في زورقه السريع. كارلوس يعيش هنا، وزوجته روزا تعمل في المطبخ. اتصور انك ستتعرفين عليهم جميعاً في الوقت المناسب».

ابتسمت ايما وقالت:

«ارجو ذلك. اخبريني الآن يا انابيل، وبكل صدق وامانة هل ترين قليلا؟ أي شيء، أو ضوء، أو لون من اي نوع؟».

«لا، لا شيء على الاطلاق. كل شيء اسود، مظلم».

ثم حركت كتفيها دليل عدم الاكتراث واضافت قائلة:

«اعتدت على هذا الوضع الآن ولم يعد يضايقني كثيراً. في البداية، كان التغيير رهيباً ومروعاً. اما الآن فلم اعد مهتمة. الجميع طيبون جداً معي

ووالدي... اوه، والدي كان يقلق كثيراً لأمري. ولكن ذلك لم يكن تصرفاً صحيحاً. اعني انه لم يتسبب في وقوع الحادث، وهو بالتالي ليس مسؤولا عنه وعن نتائجه. وعليه قررت ان ارضخ للواقع الجديد الذي اعيش فيه وادرب نفسي على مواجهته بأقل قدر من الانزعاج والانقباض.

كانت تتحدث كالكبار... اسلوبها، كلماتها، طريقتها! ولكن، اين وجه الغرابة في ذلك؟ فمن الواضح ان حادثتها ابعدتها عن الاطفال الآخرين واصبحت بالتالي تعيش باستمرار مع الكبار والراشدين، وتتحدث مثلهم. اخذت ايما تفاحة اخرى وسألت صديقتها الجديدة:

«اخبريني، هل هناك اطفال اخرون على هذه الجزيرة يمكنك مصاحبتهم؟ اعني، هل لديك صديقات تلعبين معهن في اوقات اللعب واللهو؟».

تنهدت انابيل وقالت:

«ليس لدي احد. في اي حال، ما من احد يريد اللعب معي. فأنا عمياء، لا اقدر ان اجري وراء الكرة... او اسبح... او افعل اي شيء آخر».

احست ايما بعاطفة قوية تشدها الى تلك الطفلة المسكينة، وقالت لها بلهجة استغراب بدون ان تدرك انها بذلك تؤيد وجهة نظرها:

«ولكن يا حبيبتي، ليس هناك اي سبب يمنعك من اللعب او السباحة كالأطفال الآخرين. فثمة اشخاص كثيرون فقدوا بصرهم ولم يقعدهم ذلك عن ممارسة السباحة او التزلج على الماء او اي شيء اخر يمكن للمبصرين ان يقوموا به. ففي لندن مئات لا بل الاف من العميان الذين يعيشون حياة طبيعية جداً. فهم مثلك انت، وطاقة النظر تحولت الى الحواس الأربع الأخرى، يستخدمونها بطريقة تعوض لهم عما فقدوه».

ثم اضافت شيئاً من البهجة والتشجيع الى نبرة صوتها وهي تختم حديثها قائلة:

«كانت خطوة شجاعة وحكيمة عندما اقنعت نفسك بتقبل الواقع. ولكن الا تعتقدين معي ان الوقت قد حان لكي تحاولي العيش مع واقعك الجديد بصورة طبيعية؟».

هزت انابيل كتفيها وسألت ايما وهي تتطلع نحوها بعينين زرقاوين

باردتين:

«هل تعتقدين ان بامكاني ذلك يا آنسة هاردينغ؟ هل تعتقدين ذلك حقاً؟».

«نعم، اني مقتنعة حقاً بأنك قادرة على ذلك. وهذا هو سبب وجودي هنا... لمساعدتك. وقريباً جداً، باذن الله، ستصبحين قادرة على السباحة كالسمكة. فحرام ان يعيش الانسان هنا ولا يكون قادراً على التمتع بهذه المياه المنعشة».

ظهرت ابتسامة خفيفة على وجه الطفلة ولكنها اختفت عندما قالت:

«تبدو القضية رائعة ومغرية، اعرف ذلك. ولكن برندا لا تعرف السباحة ولذا فانها لم تتمكن من تعليمي. كذلك فإن والدي يقول دائماً إن المياه خطرة».

«اذن، يجب ان نثبت له انه على خطأ».

ومرت بضعة ايام شعرت ايما خلالها بأن اقامتها وعملها لا بأس بهما على الاطلاق، لا بل انها تمتعت بأيامها الأولى الى حد كبير. كانت تزعجها بين الحين والآخر الروح العدائية التي تناصبها اياها لويزا مريديث. ومع ان تانزي كانت على ما يبدو المشرفة على شؤون المنزل في غياب دايمون، الا ان لويزا كانت تستخدم سلطتها ونفوذها كمعلمة وحاضنة الى ابعد الحدود. ولاحظت ايما ان المنزل يعج بالخدم، الا انهم لم يتسببوا في اي وقت من الأوقات بالازعاج او بالفوضى، لأن كلاً منهم لديه مهام معينة ومحددة.

واكتشفت ايما ان مساحة الجزيرة تقل عن ثلاثة كيلومترات مربعة. الا انها محاطة من جميع جوانبها بشواطىء وخلجان رائعة الجمال. ومن الجانب الشرقي للمنزل، كان بامكان ايما ان تشاهد بوضوح جزيرة سانت كاترين الصغيرة التي لا تضم الا منزلاً رئيسياً واحداً... منزل كريستوفر ثورن. وفي احدى تلك النزهات المتعددة مع انابيل رأت يختاً حديث الطراز وأنيق المظهر، وعرفت انه يخص دايمون.

«ابي يحب النزهات البحرية كثيراً. وهو يسمح لي بالصعود الى اليخت ومرافقته في بعض الرحلات القصيرة. ولكنه يصر علي بارتداء سترة واقية من الغرق وحزام النجاة، مما يزعجني كثيراً وخاصة عندما يكون الطقس شديد الحرارة».

شدت ايما على يدها بعطف وحنان قائلة:

«يجب ان نبدأ دروس السباحة. وعندما تتعلمينها جيداً فإنك قد لا تضطرين الى ارتداء تلك السترة طوال الوقت».

«اوه، نعم، ارجوك!».

وراحت تقفز بسرور وحماسة، ثم اضافت:

سأشعر بسعادة فائقة ان تمكنت من تعلم السباحة قبل عودة والدي. ارجو الا يكون غاضباً جداً بسبب وقوعي في البركة. لم يكن هناك اي داع ابداً لأن ترسل لويزا تلك البرقية».

«أتصور بانها كانت مقتنعة بأنها خطوة صحيحة. ثم، من يدري، الم يكن ممكناً ان تؤذي نفسك من جراء تلك الحادثة؟».

«لو كان كريس هنا، لما كان سمح لها بارسال اي برقية من هذا النوع».

ردت عليها ايما موافقة:

«صحيح. ولكن هذا لا يعني انه على حق. انت تحبين كريس، أليس كذلك؟».

ابتسمت انابيل وقالت بمحبة وحنان:

«اوه، نعم، نعم. اني افتقد ابي كثيراً وكريس يحاول تعويضي عن ذلك. الا ان هيلين لا تحبه ان يزورنا كثيراً. اعتقد انها تشعر بالغيرة مني. هل تعتقدين ان هذه فكرة سخيفة؟».

عقدت ايما جبينها وقالت:

«لا اعرف. من هي هيلين؟».

«انها زوجة كريس. الم يخبرك؟».

شعرت ايما بانقباض وذهول، ليس بسبب مشاعرها او احاسيسها بشكل خاص بل بسبب الطريقة العادية والعرضية التي تصرف بها معها... فقد سمح لنفسه مثلا ان يعانقها! هل هذا هو سبب احتقار لويزا الشديد له؟ هل حاول معها الاسلوب ذاته... وصدته؟ وبلعت ريقها بقوة وصعوبة. هل فكرت لويزا بأنها تعرف وضعه العائلي ومع ذلك تغاضت عن تصرفاته وصفحت عن محاولاته؟ انه احتمال معقول ويفسر الى حد ما بعضاً من العداء الذي تناصبها اياه! لا عجب اذن لأنها تضايقت كثيراً من بقائها سوية في ناسو! وفجأة لمعت برأسها فكرة اكثر هولاً

وازعاجاً! كيف ستبرر عملها لدايمون نفسه، وهو الذي يظهر لها بوضوح الاحتقار والازدراء؟ كيف تتوقع منه ان يصدق انها لم تعرف ان كريس متزوج؟ هل يضع كريس خاتم زواج؟ لم تعد تتذكر... ولكن كان عليها ان تفكر بهذا الاحتمال... ان تسأله! تسأله؟ لا، فهذا اسلوب سخيف للغاية. فهل يعقل ان تسأل فتاة الرجل الذي يستقبلها على المطار اذا كان متزوجاً ام لا، فور لقائهما؟ هل سيقبل دايمون هذا التحليل المنطقي؟ وان لم يقبل، فهل سيعتبر تصرفها شائناً وغير لائق بالتي سترعى ابنته وتهتم بها؟

٥ - الصِينية الغامضة

كان الجو في هونغ كونغ حاراً جداً وتبلغ فيه الرطوبة اعلى درجاتها، مما يشل حركة الانسان وتفكيره. وكان دايمون ثورن يسير بعصبية وقلق ظاهرين في ارجاء قاعة المسافرين الفسيحة بالمطار الدولي، متجاهلاً دعوات كبار الموظفين المتكررة له للذهاب الى الصالة المخصصة للمسؤولين واصحاب الشأن والنفوذ. ولكن دايمون لم يكن بمزاج يقبل محاولات التهدئة والاسترضاء، وتعرض نتيجة ذلك، اكثر من مسؤول لتهكمه الحاد وسخريته اللاذعة. حتى بول ريمبي مساعده الخاص، الذي يرافقه في هذه الرحلة، لم يفلح باقناعه على تهدئة اعصابه. انهما ينتظران في المطار منذ اكثر من ساعتين. فقد حدثت مشكلة فنية لطائرتهما قبل الاقلاع بلحظات، ولا توجد اي طائرة اخرى بديلة.

عاد بول يحاول مرة اخرى تهدئته والترويح عن نفسه. وبول شاب ايطالي وسيم الطلعة وصديق مخلص ومساعد امين يرافق دايمون في كافة اسفاره ورحلاته المتعلقة بأعمال امبراطوريته الضخمة. ويعرف ان دايمون يريد مغادرة هونغ كونغ بأسرع ما يمكن لاسباب شخصية، وكلما طالت فترة التأخير والانتظار كلما زادت حدة غضبه وانقباضه. اقترب من دايمون وقال له:

«مما لا شك فيه انني اشعر بحاجة الى فنجان قهوة وقليل من الفاكهة المثلجة. فما رأيك يا سيدي؟».

استدار نحوه دايمون بعصبية. كان يعرف انه يشعر بالحر الشديد والرطوبة القوية وان الطقس مسؤول جزئياً عن تعكير مزاجه. الا ان ذلك

www.elromancia.com

لم يخفف من حدة رده على مساعده:

«اللعنة يا ريجيني! قهوة وفاكهة! هل هذا كل ما يمكنك التفكير به الآن؟».

ثم سرح شعره الأسود الكث باصابع يده التي تتصبب عرقاً وقال:

«اللعنة على الشيطان! آسف يا بول، انا اعرف انك لست مسؤولا عن هذا التأخير... ولكن قل لي بربك متى سنغادر هذا الفرن؟».

ابتسم بول بارتياح. انه لحسن الحظ يعرف دايمون ثورن جيداً ولذلك فإنه لا يتأثر كثيراً اذا تعكر مزاجه وتفوه بكلمات قاسية وحادة.

«سأذهب للاستفسار عما اذا كانت هناك انباء جديدة... ثم نطلب قهوة وفاكهة، اليس كذلك؟».

ابتسم دايمون قليلاً وأجابه:

«حسناً، حسناً اذهب الآن واستفسر عما يفعله هؤلاء الفنيون التعساء!».

لاحظ دايمون ان هناك فتاة صينية تراقبه من مكان بعيد في القاعة. كانت تجلس على مقعد منخفض وتضع رجلاً فوق الاخرى كاشفة عن ساقيها بشكل مغر. ولم يغب عن باله انها ترمقه بنظرات غنج ودلال... انه يعرف مدى تأثيره على النساء ومدى انجذابهن اليه. ولكن اهتمامه بهن كان دائماً عابراً وسطحياً. ثمة امرأة واحدة اراد فعلاً الزواج منها... ايما هارديغ. ومع ان علاقته بها اصبحت الآن جزءاً من الماضي وملكاً للتاريخ، الا انه لا يزال يشعر بالغضب والانزعاج كلما تذكر رفضها له.

وقفت الفتاة الصينية وسارت نحوه ثم توقفت امامه وهي تحمل بين اصابعها سيكارة غير مشتعلة. اومأت الى السيكارة وقالت له بدلال:

«هل تسمح؟».

اشعل لها سيكارتها بهدوء فيما كانت تتأمله بشغف ونهم. ابتسمت له شاكرة وقالت بغنج واضح:

«يبدو انني اضعت ولاعتي. شكراً».

«بكل سرور».

اجابها بهدوء وتهذيب ملحوظين ثم تطلع حوله بتبرم بحثاً عن بول. لماذا تأخر؟ لماذا لا يعود الآن وينقذه من هذه المتطفلة الثقيلة؟ لماذا...؟

«هل انت مسافر الى سان فرانسيسكو؟».

«نعم».

«وأنا ايضاً. ربما تسمح لي بدعوتك الى كأس من الشراب لاظهار تقديري وامتناني... لاشعالك سيكارتي، بالطبع».

عبس دايمون قليلا وأجابها ببرودة:

«لا أظن أنها فكرة جيدة. أنا ومساعدي سنذهب الى المطعم».

«يا للصدفة الجميلة! فأنا ايضاً ذاهبة الى المطعم».

حرك سيكاره بعصبية وتململ. انه قادر بكل سهولة ان يتصرف معها بوقاحة وفظاظة مما يريحه منها بسرعة وبساطة. الا انه ليس من طبيعته ان يسيء الى الناس بطريقة عشوائية. وشاهد بول عائداً فغمزه مبتسماً بمكر وسخرية وهو يومىء برأسه الى الفتاة. فهم بول الاشارة وانضم اليهما على الفور، اذ انه اصبح يعرف متى يتدخل ومتى يختفي.

«مساعدي».

قالها دايمون بسرعة وقد تعمد عدم سؤال الفتاة عن اسمها. ثم وجّه الحديث الى بول قائلاً:

«هل من اخبار جديدة؟».

«نعم، القليل. يعتقد المسؤولون ان الطائرة ستصبح جاهزة خلال ربع ساعة، العطل لم يكن رئيسياً».

تمتم دايمون قائلاً بسخرية لاذعة:

«تأخروا كثيراً لاكتشاف ذلك. في اي حال، لا يزال امامنا متسع من الوقت لشرب فنجان من القهوة».

احنى رأسه بأدب امام الفتاة الصينية وقال لها:

«عن اذنك».

ثم سار وبول نحو المطعم تاركاً الفتاة لتدرك بنفسها ان وجودها معه امر غير مرغوب فيه. تطلع بول الى الوراء لحظة وقال:

«من الواضح انها احست اخيراً بأنها مدعاة للضجر».

ابتسم دايمون وقال:

«لسوء حظها ان مزاجي لا يسمح لي الآن، بمغازلة احد».

وصلت برقية لويزا الى فندق رويال باي في سان فرانسيسكو، في

اليوم الثاني لوجود دايمون ثورن ومساعده هناك.

كان دايمون وبول يجلسان الى طاولة العشاء عندما وصلت البرقية. ففتحها دايمون بشكل عادي ظناً منه انها تحتوي بعض المعلومات المطلوبة حول احدى شركاته الجديدة. واصابته دهشة قوية عندما وقع نظره على اسم لويزا مريديث في نهاية البرقية. قرأ النص بعناية فائقة ثم رمى الورقة الى بول، الذي كان يراقب ردود فعله بانزعاج وانقباض. قرأ مساعده البرقية وسأل رئيسه عابساً:

«هل تعتقد ان الحادثة خطيرة؟».

اخذ دايمون البرقية من يد مساعده وقرأها مرة ثانية بتمعن وتمهل. ملاحظات لويزا كانت مقتضبة وتتحدث عما جرى بالتحديد وبدون لف او دوران. انابيل وقعت في البركة وكادت تغرق، ومرضتها الجديدة لم تصل بعد. اخذ سيكارة من بول، ثم هز كتفيه العريضتين وقال:

«اعتقد ان لويزا تضخم الحادثة قليلاً. الا ان هناك واقعاً لا يمكن انكاره او تجاهله وهو ان انابيل وقعت فعلاً في البركة وانها كادت تصاب بأذى بالغ».

ثم طوى البرقية بهدوء ووضعها في جيبه ثم اشعل سيكارة ثانية. كان يشعر في تلك اللحظات بغضب حاد. لماذا لم تصل ايما؟ البرقية مؤرخة في اليوم التالي لموعد وصولها، فأين هي بحق السماء! وزادت حدة غضبه عندما لاحظ ان غيابها ازعجه كثيراً... ليس لأن وجودها كان سيحول دون وقوع الحادثة فحسب، بل لأنها هي لم تصل بعد، ولأنه لا يعرف سبب ذلك. انها الامرأة الوحيدة التي لها مثل هذا التأثير عليه. ونظراً لذلك فقد شعر ان بامكانه الآن سحقها وتحطيم عظامها بين يديه. علمته الحياة عدة امور واشياء هامة... قوة المال، قوة جاذبيته وشخصيته، وفوق ذلك كله قوة الذكاء. فقبل ان تصبح مؤسسته العملاقة على ما هي عليه الآن من قوة وعظمة واتساع، كان دايمون مجرد باحث كيميائي تخرج بدرجات مشرفة وممتازة من ارقى الجامعات وافضلها. تعرف منذ بداية عمله على جميع انواع النساء... من الضاربة على الآلة الكاتبة في شركته الى الباحثة والعالمة التي تعمل في الحقل ذاته، والتي قد تفوقه ذكاء وخبرة. الا ان واحدة فقط تمكنت من السيطرة عليه. كانت له دائماً اليد الطولى والكلمة

الأخيرة مع اي امرأة مرت في حياته، ولكن المأساة الكبرى كانت ان المرأة الوحيدة التي احبها، لم تعر مشاعره واحاسيسه اي اهتمام او انتباه. لم يدعه بول يستغرق في تفكيره، في احلام اليقظة التي غرق بها، عندما قال له مبتسماً:

«اعتقد انني اعرف ماذا يدور في رأسك. انك قلق طبعاً، فأنت والد الطفلة... ووالد محب. ولكن... أين هي هذه الممرضة التي استخدمتها حديثاً؟».

«هذا هو السؤال. الا انني اعتقد انها موجودة الآن في سانت دومينيك. من المحتمل انها تأخرت قليلاً».

ضحك بول وقال:

«هل قلت ان كريس سيكون باستقبالها؟ انا لا استبعد ابداً ان يكون الفارس الوسيم قد اغراها بالبقاء في ناسو بعض الوقت. وان فعل ذلك، فإني لا الومه كثيراً فحياته جحيم مع تلك الزوجة الحاسدة الغيورة!».

«أرجو أن تكون مخطئاً، فمهما كانت هيلين، فان كريس رجل متزوج، وهذا يكفي».

«اني اذكر جيداً انك لم تعر اي اهتمام على الاطلاق لعلاقته بلويزا في العام الماضي... وفي العام الذي سبقه، ان لم اكن مخطئاً».

صرخ به دايمون بقسوة وعصبية:

«اهتم بشؤونك التافهة، ولا تتدخل بشؤون غيرك. احضر لي فنجاناً اخر من القهوة المرة ثم اتصل بالمطار. سوف نستقل اول طائرة الى فلوريدا واعتقد ان بامكاننا متابعة الرحلة الى جزر البهاما في اليوم ذاته، اليس كذلك؟».

بدت الدهشة والحيرة على وجه بول الذي قال:

«اعتقد ان ذلك ممكن، اذا قمت بالترتيبات اللازمة منذ الآن».

«عظيم. باشر بها اذن!».

اشعل دايمون سيكارة اخرى، فيما كان بول يشرب الجرعة الأخيرة من قهوته ويهز بكتفيه ثم يتوجه للبدء بالاتصالات الضرورية.

وفي تلك الاثناء كانت امرأة نحيلة تجلس قرب دايمون وتداعب ذراعه باصابعها وهي تقول:

«هل تتذكرني؟».

التفت دايمون نحوها متململاً فشاهد امرأة رائعة الجمال تزين عنقها بعقد من اللؤلؤ يلفه ثلاث مرات. وقال دايمون لنفسه: اذا كان هذا العقد حقيقياً وليس مزيفاً، فإن اهتمام المرأة به ليس لماله. اجابها بتكاسل:

«اذكر. هل تشربين فنجاناً من القهوة؟».

هزت رأسها واجابت:

«مع قليل من السكر، شكراً. ولكن، ارجوك، انا ادفع».

«عندما اكون بصحبة سيدة، فأنا الذي ادفع».

ثم استدعى النادل وطلب منه فنجانين من القهوة. ولما ذهب سألها ببرودة:

«ولمن اطلب القهوة؟».

بدا انها ترددت قليلاً ثم قالت:

«تساي بن لونغ».

تأمل الخواتم التي تزين عدداً كبيراً من اصابعها وردد بتعجب:

«السيدة تساي بن لونغ؟».

«نعم. وانت؟».

«ثورن. دايمون ثورن».

«وماذا تفعل في سان فرانسيسكو يا سيد ثورن؟».

«اعمالي».

سألته بهدوء:

«انت تملك تلك المصانع الكيماوية الضخمة في ثورنفيل».

قطب دايمون جبينه قليلاً وقال:

«لا، ليس بالضبط. فأنا املك قسماً منها».

واستغرب الكيفية التي عرفت بها هذه السيدة تلك المعلومات. فإن لم تكن تعرف اسمه، فكيف ربطت على الفور بينه وبين المعامل؟ ثورن ليس اسماً غير اعتيادي، فلماذا هو بالذات؟ كانت عيناها تستكشفان ارجاء المطعم، وقرر دايمون تحويل انتباهها اليه، فسألها:

«لماذا اتيت الى سان فرانسيسكو؟».

هزت كتفيها ببرودة واجابت بهدوء ونعومة:

«اني اعيش هنا».

لم تعلق بشيء اخر فأثارت حفيظة دايمون ضدها. كانت تبدو مهتمة بتحركاته واعماله، الا انها من الواضح لا تنوي الدخول في تفاصيل شؤونها وامورها الخاصة. كانت بلا شك تدرك بأنه يريد سؤالها عما كانت تفعله في هونغ كونغ ولكنها لم تتبرع بأي معلومات، كما انها لم تشجعه على توجيه اي سؤال في هذا الصدد. وعوضاً عن ذلك، ابتسمت له وسألته بتهذيب:

«هل ستغادر سان فرانسيسكو قريباً؟».

اغضبه سؤالها المباشر. فابتسم وقال لها بخبث مماثل:

«ربما... وربما لا!».

«ولكنك اميركي. لهجتك لا تخطىء».

«ولدت في الولايات المتحدة. هل ولدت انت هنا؟».

«لا».

كلمة واحدة فقط وانزلت مرة اخرى الجدار السميك في وجه المزيد من الاسئلة او التفاصيل المتعلقة بها. وفجأة سمعها تقول له وكأنها ندمت على سكوتها:

«ولدت في بكين. عائلتي لا تزال تعيش هناك».

ودار بينهما حديث سياسي، أتبعته بالسؤال التالي:

«هل تؤمن بالقضاء والقدر، يا سيد ثورن؟».

«ربما. ولكني اعتقد ان من الغرابة بمكان اجراء احاديث كهذه بيننا».

ثم وقف وراح يتطلع حوله بتململ وتبرم، الى ان وقع نظره على بول فتنهد بارتياح. ورفع مساعده حاجبيه عندما لاحظ من تكون رفيقة دايمون. وعندما انضم اليهما لم يزعج دايمون نفسه بتقديمهما الى بعضهما، بل اعتذر من السيدة واخرج بول الى القاعة قبل ان يسأله عما فعله بالنسبة الى سفرهما. تنهد بول وقال:

«نتوجه الى المطار خلال اربعين دقيقة تقريباً. الغى مسافران رحلتهما فحجزت المكانين على الفور. هل يعجبك ذلك؟».

هز دايمون رأسه علامة الموافقة والارتياح، اما بول فابتسم وسأله:

«وماذا عن الصينية الساحرة؟».

«تساي بن لونغ. لا اعرف».

ثم ضحك وقال ساخراً:

«اعتقد انها شاهدت لتوها وجهاً مألوفاً».

بدا التشكك على وجه بول، ثم قال:

«من المحتمل جداً انها تبحث عنك في جميع الفنادق والمطاعم الراقية في سان فرانسيسكو. كان واضحاً لها انك ستكون في مكان كهذا».

هز دايمون كتفيه العريضتين بلا مبالاة قائلاً:

«وما هي المشكلة؟ القانون لا يمنع ذلك».

«هل انت مهتم بها؟».

«ماذا تظن؟».

«لا اعرف، لا اعرف. انها جذابة للغاية».

سار دايمون نحو الباب الخارجي فيما كان بول يلحق به. ثم توقف واستدار نحوه ليقول بهدوء:

«نعم، انها جذابة للغاية... شأنها في ذلك شأن الملايين من النساء».

٦ - غضب تحت الجلد

سحبت ايما يدها برفق ونعومة من تحت جسم انابيل وهي تقول:

«هيا، تابعي، انك تتقدمين بطريقة رائعة!».

تحركت يدا انابيل الصغيرتان البرونزيتان وتبعتهما الرجلان بالاسلوب ذاته. انها تسبح، انها حقاً تسبح. بمفردها ولأول مرة في حياتها! وشعورها، لا يمكن وصفه بكلمات! ثم احست بيدي ايما تمسكان بوسطها وتساعدانها على الوقوف على ارض البركة. وشهقت بحماس وسعادة:

«هل كنت اسبح؟ هل كنت حقاً اسبح؟».

«نعم يا حبيبتي، وبمفردك تماماً. قمت باثنتي عشرة حركة ولم امد يداً لمساعدتك».

«اوه، ايما الن يفاجأ والدي عندما يأتي؟ اعني، انه لم يكن يسمح لي ابداً بالنزول الى البركة لأن مياهها عميقة جداً... كما كان يقول».

ساعدتها ايما على الخروج من البركة وجلستا معاً على حافتها. كانت ايما ترتدي ثوب السباحة الأبيض المؤلف من قطعتين. وسرها كثيراً ان الشمس بدأت تلفح وجهها وجسمها لتضفي عليهما سمرة جذابة. كما لاحظت بسعادة فائقة ان الطقس في الجزر يناسبها تماماً. وانها بدأت تتأقلم بسرعة كبيرة مع مكان اقامتها الجديد ومع جميع العاملين في تلك الجزيرة الصغيرة. حتى لويزا مريديث نفسها لم تعد تتصرف معها بالقسوة والفظاظة اللتين كانت تستخدمهما في بداية الأمر. ورجحت ايما ان ذلك ربما يعود جزئياً الى ان لويزا لاحظت بلا شك الانزعاج الذي ابدته هي تجاه كريس.

فقد اتى صباح اليوم الثالث لوجودها في سانت دومينيك واعلن بشكل

www.elromancia.com

طبيعي جداً انه سيأخذ ايما وانابيل في نزهة تستغرق طوال النهار. وكان قد جلب معه في الزورق عدة الغطس تحت الماء وسلة كبيرة من المأكولات والمرطبات. وبدا انه لم يتوقع اي اعتراض على الاطلاق من جانب ايما. الا انه فوجيء بانها مستاءة منه الى ابعد الحدود. ولما سألته عن مسألة زواجه وكيف انه لم يزعج نفسه باطلاعها على ذلك، هز كتفيه واجابها بهدوء:

«هيلين وانا لا نعيش حياة زوجية طبيعية. فهي لا يمكنها ان تنجب اطفالاً».

غضبت ايما جداً من ذلك الرفض البارد والقاسي لزوجته، فقالت له بدهشة واستغراب:

«ولكن من المؤكد ان بامكانك تبني طفل، اذا كانت المشكلة كلها تتعلق بهذا الموضوع!».

«انا لا اريد اطفال اناس اخرين. اريد اطفالاً من لحمي ودمي».

ثم امسك بيدها وقال:

«انك جذابة جداً بحيث يصعب علي ان ادعك وشأنك. لا تلعبي معي دور الفتاة الصعبة المنال فترة طويلة. قد افقد صبري».

شعرت ايما بغضب عارم واستياء ما بعده استياء وقالت له بهلجة عنيفة وحاسمة انها تحتقره بسبب موقفه تجاه زوجته، وانها لن تذهب معه الى اي مكان وفي اي زمان. واحست انابيل، التي لم تفهم سوى القليل من حديثهما الغاضب، بخيبة امل كبيرة. الا ان ايما عوضت لها تلك الخسارة بتمضية المزيد من الوقت معها في البركة وبكسب ثقتها الكاملة بها.

غادر كريس سانت دومينيك غاضباً بصورة لم يسبق لأحد ان شاهدها او احس بها. وتمنت ايما الا يحاول ايجاد اعذار لاطلاع دايمون على كيفية تصرفها معه. وشعرت بصورة شبه اكيدة انه لن يفعل ذلك، لأنه لن يتمكن من ابلاغ دايمون بما جرى بدون ادانة نفسه... وهي مسألة قد لا يرغب في التعرض لها. واحست ايما تلك الليلة بشيء من الحزن والأسى لأن صداقتها القصيرة لكريس تحطمت بمثل هذه السرعة.

بدأت لويزا تلين معها قليلاً، واتفقتا بطريقة غير مباشرة على نوع من الهدنة. وتصورت ايما انه من الممكن جداً في نهاية الأمر ان تصبحا صديقتين عزيزتين. وباستثناء لويزا، وتانزي بالطبع، فانه لم يكن لدى ايما

اشخاص اخرون تتحدث معهم. فالحديث مع انابيل، التي تتحدث مراراً كالراشدين، لا يمكن ان يحل محل الصداقات المتعددة التي اقامتها في المستشفى.

كانت ايما وانابيل تجلسان قرب بركة السباحة وتعرضان ظهريهما لشمس على وشك الغروب. وكانت انابيل تبدو كلعبة سمراء جميلة تجلس على منشفة كبيرة وترتدي ثوب سباحة من قطعتين خاطته لها ايما من احدى ستائر الحمام. وفجأة استلقت الطفلة الصغيرة على ظهرها وسألت رفيقتها الكبيرة:

«هل تعتقدين بأنني سأتمكن يوماً ما من استعادة نظري؟».

ترددت ايما وارتبكت. انها لا تريد زرع افكار وآمال خاطئة في مخيلة الفتاة، مع انها تشعر من الناحية الأخرى ان مشكلة انابيل هي نتيجة صدمة نفسية بقدر ما هي عجز جسدي. ولاحظت ايما انها كلما حاولت ان تتحدث مع الفتاة الصغيرة عن امها كانت تجابه بسد منيع من الصمت المطبق... وكأن انابيل تخفي امراً، ولا تريد التفوه بشيء مخافة ان تفشي سرها. ومما زاد في تصور ايما ان فقدان النظر يعود بدرجة كبيرة الى مشكلة نفسية، ان رأس الفتاة ووجهها، خاليان تماماً من اثار اي جروح او ضربات. وفجأة سمعتا صوت طائرة مروحية فوقهما، فهبت انابيل واقفة ببهجة وحماس قائلة:

«ايما، ايما! انه ابي، انه ابي!».

وتوترت اعصاب ايما... هل هو حقاً دايمون ثورن؟ وهل عاد قبل موعده بسبب حادثة ابنته؟ وكيف سيفسر الليلة التي امضتها وكريس في ناسو وسألت صديقتها الصغيرة:

«هل يحضر والدك عادة بطائرة مروحية؟».

«احياناً».

ثم امسكت بيد ايما وسألتها بلهفة:

«هل بامكاننا ان نذهب لملاقاته؟».

تطلعت ايما نحو الطائرة، ولاحظت ان الوقت لا يسمح لها بالذهاب الى البيت وارتداء ثيابها ثم العودة الى مكان هبوط الطائرة لاستقباله. وكذلك، فإنه ليس من اللائق او المستحب ان تستقبلا دايمون ثورن وهما

كحوريات البحر. ردت عليها بوداعة وحنان:

«اعتقد ان علينا الانتظار هنا. ثم... الا تريدين مفاجأة والدك بوجودك في البركة وقدرتك على السباحة بمفردك؟».

«طبعاً، طبعاً. نسيت! هل تعتقدين انه سيحب ثياب البحر التي ارتديها الآن؟».

«اوه، طبعاً. انا متأكدة من ذلك».

ثم اخذت معطفاً قصيراً خاصاً بالبحر وارتدته بسرعة لأنها لم تكن لديها اي رغبة في دفع دايمون الى الظن بأنها تعرض نفسها امامه بزهو وتباه. خف صوت المروحة قليلاً ثم عاد الصمت يخيم على تلك الجزيرة الصغيرة. كانت البركة تقع خلف المنزل، فيما كان مهبط الطائرة يقع في فسحة قرب الشاطىء. وما هي الا لحظات حتى ظهر دايمون ورجل اخر يخرجان من بين اشجار النخيل. كان دايمون يرتدي بزة زرقاء انيقة ويحمل حقيبة صغيرة. اما الرجل الآخر الذي يبدو اصغر سناً ويرتدي بزة رمادية، فكان يحمل حقيبة سفر خفيفة. وشعرت ايما بأن دايمون يبدو اضخم مما هو عادة... واحست بقلبها يقفز الى حلقها ويحبس عليها انفاسها.

قفزت انابيل وامسكت بيد ايما وهي تقول بلهفة:

«هيّا نستقبله يا ايما، ارجوك. ارجوك!».

وجهتها ايما نحو والدها فركضت نحوه بسرعة وثقة مذهلتين. وفتح دايمون ذراعيه القويتين وضم ابنته ثم رفعها في الهواء مرحباً بها بمحبة وحنان:

«انابيل حبيبتي! انك تبدين اليوم جميلة جداً».

«هل انا حقاً يا ابي؟ هل انا حقاً جميلة؟».

ثم تحول وجهها نحو الرجل الآخر، وقالت:

«بول، بول، هذا انت اليس كذلك؟ هل تعتقد انني جميلة حقاً؟».

«رائعة الجمال! ترتدين قطعتين ايضاً... من اين اتيت بثياب البحر الجميلة هذه؟».

«ايما خاطتها لي. وهل تعرف ايضاً انني تعلمت السباحة».

نظرت ايما الى وجه دايمون لتراقب رد فعله، فرأته يتطلع نحوها لأول مرة منذ وصوله... ويسألها بشيء من الحدة:

«هل هذا صحيح؟ هل تعرف انابيل كيف تسبح؟».

«تقريباً. لم اجد سبباً يمنع تعليمها السباحة. ان ذلك على الأقل يحول دون وقوع المزيد من الحوادث الخطيرة».

نظر دايمون الى بول فرآه يتأمل ايما باعجاب ظاهر. وانتبه ايضاً الى ان ايما ابتسمت له شاكرة اعجابه بصمت خجول. واحس دايمون فجأة بغضب شديد. كان عليه الا يحضرها ابداً الى هذه الجزيرة، لقد تصرف بغباء! انزلت انابيل نفسها الى الأرض وامسكت بيد والدها وسألته بلهفة:

«هل تسبح معي؟ الا تريد مراقبتي عندما اسبح؟».

حوّل دايمون نظراته عن ايما ورد على ابنته بحنان واضح:

«طبعاً يا حبيبتي. ولكن والدك آت من مكان بعيد جداً وهو بحاجة الآن الى حمام بارد وساعتين على الأقل من الراحة. غداً... غداً ان شاء الله يمكنك تفويت دروسك وقضية النهار بكامله معي. فما رأيك؟».

«اوه، نعم. وايما ايضاً؟».

«قد تكون الآنسة هاردينغ بحاجة للقيام ببعض الأمور الأخرى».

ثم رفع رأسه نحو ايما قائلاً بجدية وهدوء:

«ولكني اريد التحدث مع الآنسة هاردينغ هذه الليلة، ان لم يكن لديها اي مانع».

«لا مانع على الاطلاق».

ثم امسكت بيد انابيل واستدارت نحو البيت وهي تقول:

«اعذرانا الآن، فقد حان موعد الشاي لأنابيل».

ونظرت الى دايمون وسألته ببرودة اعصاب مذهلة:

«هل ستأتي لرؤيتها قبل ذهابها الى النوم؟».

«طبعاً وفي هذه الاثناء سوف استحم واشرب فنجاناً من القهوة».

وتطلع الى بول قائلاً بهدوء:

«بول، يسرني ان اقدم اليك الآنسة ايما هاردينغ، ممرضة انابيل ومرافقتها الجديدة».

ابتسم لها بول بحرارة فاضطرت لمبادلته الابتسام ولكن بشيء من التحفظ، وسمعته يقول لدايمون فيما كانت هي وانابيل تتوجهان الى البيت:

«انها بلا شك افضل بكثير من برندا لوسن».

«نعم. ولكن... لا تورط نفسك معها!».

قطب بول حاجبيه وسأله:

«ما قصة هذه الفتاة؟ يبدو...».

رمقه دايمون بنظرة اخرسته، ثم توجه الى البيت دون ان يقول شيئاً.

وفي المساء اختارت ايما ثيابها بدقة لأنها لا تريد مواجهة دايمون بثياب منزلية عادية. وكانت ايما تتناول العشاء عادة مع لويزا وتانزي في احدى الغرف الصغيرة التي تطل على البحر. اما عشاء الليلة فلن يكون مريحاً على الاطلاق.

نزلت الى القاعة الكبيرة التي قلما تستخدم في غياب دايمون وهي مرتاحة الى انها ساعدت انابيل على الاستحمام وقدمت لها عشاءها ثم وضعتها في السرير بانتظار الزيارة المرتقبة من والدها. ولما دخلت القاعة وجدت بول ريميني جالساً في احد المقاعد الجانبية يقرأ احد كتب انابيل. ولما شاهدها، هب واقفاً وقال:

«مرحباً مرة اخرى. السيد ثورن لم ينزل بعد. هل تريدين شراباً بارداً؟ سيكارة؟».

ابتسمت ايما وقبلت منه سيكارة اشعلها لها بتهذيب واحترام، ثم صب لنفسه قليلاً من عصير التفاح المنعش. سارت ايما نحو النافذة العريضة واخذت تتأمل الحديقة الرائعة باعجاب صامت. لحق بها بول وسألها بهدوء ومجاملة:

«هل استقرت بك الأمور هنا؟ اتصور ان الطقس يلائمك جداً، اليس كذلك؟».

«اوه نعم. انه بلا شك مكان رائع».

ثم استدارت نحوه وسألته:

«هل تعمل مع السيد ثورن منذ فترة طويلة؟ اخبرتني انابيل انك اقرب مساعدي والدها المفضلين».

«هذا صحيح. فأنا اعمل مع دايمون منذ ست سنوات».

ثم ابتسم واضاف:

«انها وظيفة عظيمة. نسافر معظم الوقت... والى عدة انحاء من

العالم. دايمون رجل رائع، ويسعدني جداً العمل معه. انك لم تتعرفي عليه جيداً بعد، ولكن صدقيني...».

قاطعته ايما بتهذيب قائلة:

«ارجوك. دعنا من مناقشة شخصية السيد ثورن».

وترددت قليلاً ثم سألته:

«انك بلا شك كنت تعرف السيدة ثورن».

«نعم، كنت اعرفها».

ثم قطب جبينه واضاف:

«قتلت في حادث سيارة قبل عامين تقريباً».

«حادثة مأساوية بالتأكيد!».

انهى بول شرب عصيره دون ان يبدو عليه التأثر والانفعال، فشعرت ايما بحشرية قوية. كيف كانت اليزابيت ثورن. وكيف كان شكلها؟ من المؤكد ان دايمون احبها كثيراً كي يتزوجها! وأنابيل... انابيل ولدت خلال اقل من عام بعد زواجهما! واحست بانقباض شديد، فقررت تغيير الموضوع.

«هل تمضيان اوقاتاً طويلة هنا في سانت دومينيك؟».

«احياناً نأتي الى هنا ونمضي بضعة اشهر، واحياناً اخرى بضعة اسابيع فقط. وفي بعض الأوقات يأتي دايمون بمفرده لقضاء عطلة، فيما اعود انا الى بيتي في ميلانو بايطاليا».

خف توترها قليلاً فابتسمت له وقالت:

«انك تتحدث الانكليزية بطلاقة».

علت وجهه ابتسامة عريضة وهو يجيبها قائلاً:

«ابي وامي ايطاليان. ولكن امي عاشت وتربت في بريطانيا لحين عودتها الى ايطاليا وزواجها من ابي. وقد علمتني الانكليزية منذ صغري. كانت دائماً تقول ان هذه اللغة ستصبح في نهاية الأمر الأولى في العالم، من حيث عدد الاشخاص الذين يقدرون على التحدث بها».

«اعتقد انها كانت على حق».

ونظرت ايما الى ساعة يدها التي كانت تشير في تلك الآونة الى الثامنة الا ثلثاً. العشاء عادة يقدم في تمام الثامنة...

«اني اضجرك على ما يبدو!».

ندمت ايما على تصرفها وسارعت الى القول:

«لا، ابداً. ولكني كنت اتساءل . . . متى سيحضر السيد ثورن؟».

«انه هنا!».

والتفتا ليشاهدا دايمون ثورن واقفاً قرب الباب يتأملهما بهدوء وجدية. ثم قال موجهاً كلامه الى ايما:

«آنسة هاردينغ، اريد محادثتك على انفراد. مكتبي هو المكان الأفضل».

شعرت ايما برجفة خفيفة فيما كانت تطفىء سيكارتها وتلحق به الى غرفة المكتب التي لم تدخلها بعد منذ وصولها الى الجزيرة.

توجه دايمون الى مكتبه واشار الى ايما للجلوس في احد المقاعد القريبة، فهزت رأسها بهدوء وقالت:

«افضل الوقوف، ان لم يكن لديك مانع. وقل لي ما تريده على الفور، لأنني اكره هذا الترقب القلق».

ردّ عليها بتهكّم واضح، قائلاً:

«يا للأسف!».

ثم اشعل سيكاراً وسألها بهدوء وهو يتكىء على المكتب الخشبي:

«لماذا لم تصلي الى هنا في اليوم المقرر؟».

«استقبلني ابن عمك في ناسو، كما تعرف، ثم اقترح علي البقاء حتى اليوم التالي لأتمكن من مشاهدة نيو بروفيدانس».

وتنهدت. فطريقة اجابتها على هذا النحو رهيبة ومزعجة. اللعنة! كان يجب ان تصر على كريس لاحضارها فوراً الى سانت دومينيك. رد عليها دايمون غاضباً:

«اني لا ادفع لك مرتبك كي تبقي في ناسو وتشاهدي المعالم السياحية».

«اوه، وما الفائدة؟ انك لم تفهم او تتفهم! عندما وصلت الى ناسو، تبين لي ان كريس حجز غرفتين في الفندق. ويبدا انه اعتبر بقاءنا تلك الليلة امراً مفروغاً منه».

ثم تنهدت واضافت:

«رفضت واعرف انه كان يتوجب علي الاصرار على رفضي. . .

ولكن. . . اوه، يستحيل علي الآن ان اشرح بالتفصيل ما حدث ذلك اليوم».

«الم يهمك ابداً انه رجل متزوج؟».

تنهدت ايما بأسى ظاهر وقالت:

«لم اعرف انه متزوج. انت لم تخبرني، وهو بالطبع لم يتبرع بابلاغي ذلك. حتى اني كنت اتوقع فتاة في استقبالي، تصورت ان كريس تصغير لكريستين وليس لكريستوفر! كيف كان من المفروض علي ان اعرف انه متزوج؟ لم يتصرف معي ابداً كأنه رجل متزوج!».

«اصدقك! اني اصدق كلامك!».

ووقف ثم قال:

«وماذا عن انابيل؟ اتصور انها تحبك كثيراً. من المؤسف انك قد لا تبقين هنا».

حدقت به ايما بذهول وحيرة وهي لا تصدق ما سمعته اذناها. انه يمزح! انه لن يطردها لأنها لم تصل في اليوم الذي حدده لها! انها مستعدة لخسارة مرتب ذلك اليوم اللعين ان كان يهمه تطبيق القانون بحذافيره! وسألته باستغراب واضح:

«وماذا علي ان افهم من ملاحظتك هذه؟ انك سوف تطردني؟ وانك سترسلني الى لندن، وتعتبر ان مشكلة اخي وكأنها لم تكن؟».

«هذا بالضبط ما افعله مع اي موظف اخر ليس لديه مثلك شقيق متورط بهذه القضية. ولكن يؤسفني ان وضعك يختلف عن اوضاع الآخرين. فأنت لديك حصانة ضد الطرد. . . الا اذا عدت وقررت تحويل قضيته الى القضاء».

صرخت ايما بذهول ولهفة:

«ولكنك لن تفعل! لن تفعل!».

قطب دايمون حاجبيه وقال لها بهدوء وجدية:

«لا، لن افعل. وسأنسى هذه الحادثة مع كريس».

«وهل سأبقى؟».

درس دايمون بتمعن ملامحها المبتهجة. وحذره عقله ومنطقه من ابقائها لحظة واحدة، بينما لا يزال قادراً على ذلك؛ ولكنه لأول مرة تجاهلهما وقال

لها وهو يهز رأسه موافقاً:

«اعتقد ذلك».

ابتسمت ايما فعقد دايمون جبينه مرة اخرى وقال لها:

«يبدو الآن ان موقفينا تعاكسا. فقد كان لدي انطباع بأنك كنت تريدين البقاء في لندن... بأن عملك هناك... وبأنك سوف تحصلين على ترقية!».

«كان هذا قبل لقائي انابيل. انها طفلة رائعة!».

«هل هي حقاً؟ على الرغم من انها ابنتي انا؟».

«وما يجعلك تظن ان لذلك اي تأثير سلبي؟».

«يجب ان يكون، اليس كذلك؟ اعني ان هذا هو صلب الموضوع، ام ترى انا على خطأ؟».

ثم استدار نحوها غاضباً وقال:

«مرت اوقات شعرت خلالها بانني اريد قتلك بسبب ما فعلته بي!».

شدت ايما يديها بتوتر ظاهر. انهما يعودان الآن الى الموضوع الأساسي، وهي على وشك ان تفقد اعصابها. لماذا اعاد الى حديثهما النبرة الشخصية؟ لماذا لم يحتفظ بلهجة رب العمل مع موظفته؟

«كانت خطوة نحو الأفضل».

وسارت بعصبية نحو الباب ولكن صوته اوقفها في مكانها عندما سألها بحدة:

«انك لم تتزوجي ابداً... الم تشعري بتاتاً بالندم؟».

«ندم بسبب عدم الزواج؟».

تقدم نحوها بسرعة وقال لها، فيما كانت عيناه تتأملان جسمها باعجاب يصل الى درجة الاحراج والاهانة:

«انت تعرفين جيداً ماذا اعني».

ارتعش جسمها بقوة. فعندما يكون قريباً منها الى هذا الحد تشعر بالضعف امامه. ليس عليها الا ان تخطو نصف خطوة نحوه لتلتصق به وتشعر بدفئه وحنانه. وشعرت بألم وعذاب شديدين عندما احست بأنه لا ينتظر منها الا ان تفعل ذلك. وفي تلك اللحظة الوجيزة تذكرت بوضوح ادق التفاصيل في العلاقة التي كانت قائمة بينهما. انه لا يعرف انها تركته

لأجله هو... لصالحه! وتذكرت الليدي ماسترهام وهي تقول لها:

«ولكن، يا ايما، اعتقد ان دايمون يتصرف بشجاعة فائقة، الا توافقيني الرأي على ذلك؟ اعني... رجل بعمره ونفوذه، وفتاة صغيرة جميلة مثلك لا تملك جنيهاً واحداً! اعني، يا عزيزتي، ان الناس سيحكون... من المؤكد انهم سيحكون! ويخيل الي انه سيكون لكلامهم تأثير سلبي وغير سار على مؤسسته عندما يعرف منافسوه بضعفه تجاهك. ثم ان هذا التصرف لا يدل على خلق رفيع وشخصية قوية، الا تعتقدين ذلك؟».

تذكرت ايما ايضاً ان عيني الليدي ماسترهام كانتا تسألانها كيف ان رجلاً مثل دايمون يجد اي اهتمام بحشرة مثلها! الا ان الليدي نفسها لم تتجرأ على الافصاح علناً عن مثل هذه الآراء المذلة. ولكن البذور زرعت بصورة جذرية، وكان على ايما ان تسمع العديد من الملاحظات المماثلة. وكانت كل ملاحظة اسوأ واشد قساوة من سابقتها... الى ان اقتنعت ايما بأن وجودها معه سوف يلحق الدمار بعمله... وبحياته.

رفعت رأسها وتطلعت فيه غير قادرة على التفوه بكلمة واحدة. حدق بها دايمون لفترة قصيرة. وعندما شعرت بأنها لم تعد قادرة على الوقوف طويلاً، ازاح وجهه عنها وتمتم بصوت متوتر وغاضب:

«اخرجي!».

٧ - بحر من العواطف

صباح اليوم التالي، تناولت ايما طعام الفطور في غرفتها ثم نزلت الى الطابق الأرضي لتسمع من لويزا ان رب البيت وابنته خرجا سوية منذ بعض الوقت.

«انت وانا اليوم في عطلة الزامية. فقد اوضح السيد ثورن انهما سيستقلان اليخت ولن يعودا قبل المساء. اعتقد انه سيأخذها الى الدورو».

نظرت اليها لويزا وابتسمت بمكر قائلة وهي تشير الى احد الزوارق:

«هذا هو الزورق الذي يقوده جوزف، ان كنت ترغبين برحلة قصيرة الى ناسو.

ثم وقفت واضافت:

«فعلاً، وبكل جدية، انا لا امانع ابداً برحلة كهذه. وبما انه ليس لدينا اي شيء نقوم به...».

وتوقفت عن اتمام جملتها عمداً. ابتسمت ايما دليل الموافقة وقالت:

«فكرة لا بأس بها على الاطلاق. كنت اتمنى لتوي ان احضر بعض الأقمشة... ولكن، ماذا عن السيد ريميني؟ الن يتوقع منا البقاء هنا؟».

ابتسمت لويزا بالنسبة الى السيد ريميني. فالسيد ثورن اوصله الى سانت كاترين حيث سيمضي النهار مع كريس وهيلين. بول وكريس يعرفان بعضهما منذ عدة سنوات. انهما زميلا دراسة».

«اذن، اعتقد ان علينا الترفيه عن نفسينا... اليس كذلك؟».

اعادهما جوزف بعد ان تناولتا عشاء من السمك والخضار في الهواء

الطلق. ولكنهما شعرتا بشيء من الذنب لأنهما تغيبتا مثل هذه الفترة الطويلة. وفيما اقترب زورقهما من سانت دومينيك، شاهدتا اليخت راسياً في مكانه وعلمتا ان دايمون ثورن عاد الى الجزيرة قبلهما. وعندما دخلتا البيت وهما تحملان حاجياتهما لم تجدا احداً. كانت الساعة انذاك تقارب الثامنة فقررتا ان تذهب كل منهما الى غرفتها لتغتسل وتغير ملابسها استعداداً للعشاء. وقالت لويزا لايما فيما كانتا تصعدان الدرج:

«لا تقلقي بشأن اناييل. تانزي تهتم بها عادة عندما لا يكون احد منا هنا».

شعرت ايما بالارتياح. فقد كانت على استعداد تام للعودة الى الجزيرة في وقت مبكر، الا ان لويزا اصرت على ان لا حاجة لذلك. وقبلت ايما ذلك بدون اعتراض او احتجاج لانها شعرت بأنه لم يكن لديها اي يوم عطلة منذ وصولها الى الجزيرة قبل اسبوع.

استحمت بسرعة وارتدت فستاناً ازرق اللون ثم نزلت الى القاعة لتجد دايمون جالساً في احدى زواياها يشرب كأساً من العصير البارد. كان يرتدي بزة رمادية داكنة تضيف الى سمرته وجاذبيته اناقة وهيبة. رفع حاجبيه اشارة الى انه احس بدخولها، فوقفت لا تدري ماذا تفعل او تقول. وبعد لحظات، استجمعت شجاعتها وسألته بهدوء:

«هل امضيتما يوماً جيداً؟».

«اعتقد ذلك. وانت، هل امضيت يوماً ممتعاً؟».

«نعم. ذهبت ولويزا الى ناسو حيث ابتعنا بعض الأغراض».

احنى رأسه قليلاً وهو يقول:

«تانزي ابلغتني بذلك».

ثم اشار الى كرسي مجاور وقال لها:

«تعالي، سأحضر لك شراباً. ما رأيك بعصير التفاح؟ كنت تحبينه كثيراً».

اعد لها الشراب واعطاها الكأس فأخذته شاكرة. ثم دخلت لويزا وبدأ الثلاثة بتناول العشاء، فيما كان دايمون يقول للشابتين الجالستين معه:

«بول باق بعض الوقت في سانت كاترين. سوف يعود في وقت لاحق».

سألته لويزا عن رحلة اليخت والى اين ذهب. وارادت ايما ان تسأله عن

انابيل وهل تمتعت بنزهتها الطويلة. الا ان صوتها رفض الانصياع لأوامرها وقررت الا تتكلم كثيراً حتى تتمكن من السيطرة على نفسها واعصابها. وبعد العشاء اعتذر دايمون منها وتوجه الى غرفة المكتب. رفعت لويزا رأسها وقالت لايما ضاحكة:

«اعتقد ان وجودنا لم يكن مفيداً على الاطلاق. الا تشعرين معي بذلك؟».

ثم ابتسمت واضافت قائلة قبل ان تنتظر جواباً:

«هيا، لنقم بنزهة خارج البيت. انها ليلة رائعة».

وافقتها ايما على ذلك بدون تردد. لقد كانت فعلاً ليلة جميلة جداً وكان من الخطأ البقاء داخل البيت. لفت ايما عنقها بوشاح خفيف، وسارتا نحو الشاطىء تتمتعان بالنسيم العليل وضوء القمر الساطع وانعكاسه البهيج على سطح الماء وكان واضحاً ان لويزا تريد التحدث بأمور خاصة. وقفت فجأة وقالت لايما بجدية قائلة:

«اريد تقديم اعتذاري الخالص لك. فقد تصرفت معك في اليومين الأولين لوصولك بطريقة سيئة وفظة للغاية، ولكني سأحاول الشرح...».

«لا حاجة لذلك مطلقاً».

«اعرف، ولكني ساخبرك. عندما اتيت الى هذه الجزيرة قبل عامين لأعطي انابيل دروساً تمهيدية ثم ننتقل الى اسلوب برايل في الحروف النافرة، تورطت عاطفياً مع كريس ثورن. كانت خطوة سخيفة... اعرف ذلك، وكان علي بعد ان تجاوزت الثلاثين ان اتصرف بحكمة وروية. ولكنه جذاب للغاية، واعتقد انني بدأت اشعر باليأس».

وتنهدت لويزا ثم مضت الى القول:

«أقمنا علاقة اتسمت بالعنف. كنت اعلم بوجود زوجته هيلين، على العكس منك كما تبين لي في وقت لاحق، الا انني لم اهتم او اكترث. تعرفت اليها... انها باردة وقلبها قد من حجر، بينما كان كريس دافئاً وحنوناً... ويحبني».

وعبست ثم قالت:

«كم كنت سخيفة وغبية ورعناء! كريس كان يلعب معي، لعدم وجود

فتيات اخريات. برندا بالتأكيد لم تكن من الطراز الذي يعجبه. لم تدم علاقتنا طويلاً. فبعد حوالى تسعة اشهر تعب مني وبدأ يتطلع الى ضحية جديدة وانتصار جديد. هذه هي القصة الفاسدة بحذافيرها! اعتقد انك تظنين ان ما فعلته بهيلين يدل على الانانية وحب الذات».

تنهدت ايما وقالت بنعومة وهدوء:

«انا لست في موقف لاصدار احكام. ولكني آمل في ان نصبح الآن صديقتين مخلصتين».

ابتسمت لويزا بحرارة ومودة وقالت:

«طبعاً، طبعاً. لقد لاحظت منذ بعض الوقت انك انسانة طيبة جداً. ما رأيك في العودة الآن، ايتها الصديقة؟».

عادت الفتاتان الى البيت، كما عادت اليه الحياة العادية والنمط اليومي المعتاد. دايمون يمضي معظم وقته اما في مكتبه يراجع التقارير والوثائق التي تصله يومياً، واما على اليخت مع بول، او في زيارة ابن عمه في سانت كاترين وكانت انابيل تراه لفترة قصيرة مساء كل يوم قبل ذهابها الى النوم. ولكن ايما كانت تشعر بأن عليه تمضية المزيد من الوقت مع ابنته. ومع ان انابيل لم تتذمر كثيراً، الا ان ايما احست بأن الطفلة الصغيرة مصابة بخيبة امل كبيرة لانه لم يظهر اي اهتمام يذكر بتعلمها السباحة. كما انه لم يسبح معها ولا مرة في البركة.

وفي مساء اليوم الخامس، شعرت ايما بأن عليها التحدث مع دايمون قبل فوات الأوان. لم تكن تعرف طول الفترة التي ينوي تمضيتها في الجزيرة. وبالاضافة الى احتياجات انابيل، فإن ايما تريد التحدث معه بشأن المواضيع النفسية المتعلقة بالطفلة وفقدانها النظر. وبعد العشاء تلك الليلة، توجه دايمون الى مكتبه فلحقت به ايما ودقت الباب المغلق. مرت بضع لحظات قبل ان تسمعه يقول:

«نعم؟».

فتحت الباب ودخلت ثم اقفلته وراءها بعزم وثبات. كان دايمون يجلس وراء مكتبه يدرس بعض الوثائق. وبدا عليه الاستغراب عندما رفع رأسه وشاهد ايما امامه. ازاح الاوراق جانباً ووضع يديه وراء رأسه ثم قال لها بتهكم:

«اوه، ايما! ماذا يمكنني ان افعل لك؟».

«ليس لي، بل لأنابيل. اعتقد انك تهملها كثيراً».

انقبض دايمون في كرسيه وقال لها بعصبية:

«حقاً؟ وبأي سلطة تتحدثين فيها عن اهمالي واخطائي؟».

«انها الحقيقة. امضيت يوماً واحداً معها من بين الأيام الخمسة التي مرت على وجودك هنا. انها لا تتحدث كثيراً عن هذا الموضوع، ولكني ارى من خلال عينيها ونظراتها بأنها تشعر باهمالك».

هب دايمون واقفاً بحدة وانفعال وقال لها بلهجة ساخرة وقاسية:

«آنسة هارديغ، انك تقومين بعملك بطريقة تثير الاعجاب. تصبحين على خير!».

حدقت به ايما وقد اغضبها موقفه وتصرفه، وصرخت به بيأس واضح:

«الا يهمك ان تحصل ابنتك على الحب والعاطفة الابوية؟ هل مصاحبة ابن عمك واصدقائك اكثر اهمية من طفلة واحدة عمياء؟».

«احذري من التحدث معي بهذه اللهجة او هذا الاسلوب! انابيل ليست بحاجة الي ما دامت معها لويزا مريديث، وتانزي... وانت بالطبع!».

انهمرت الدموع من عينيها واحست بانقباض شديد. ولم تقدر على ضبط اعصابها فقالت له بتأثر بالغ:

«هذه سخافة! حماقة!».

قام دايمون من وراء مكتبه واقترب نحوها بحدة وغضب. امسكها بذراعها وشدها بقسوة شعرت بأنه يكاد يحطمها. نظرت الى عينيه فرأت الشرر يتطاير منهما. واحست ايما بأن جسدها بدأ يخونها... يضعف امامه، مع ان لسانه كان يلسعها كالسوط وهو يصرخ بوجهها قائلاً لها انها اخر شخص يحق له التحدث عن احتياجات اي انسان في الدنيا. حاولت التملص من قبضته بدون جدوى. فهو رجل قوي وكان يبدو عليه انه يتمتع بعذابها ومحاولاتها المتكررة والفاشلة للتخلص منه. توقف عن الكلام ولكن عينيه ظلتا تقدحان شرراً. الا ان الشرر هذه المرة كان مختلفاً... يتطاير من نار تشعلها مشاعر اخرى. احست بموجة من الحرارة تلف جسمها، فتوقفت عن الحركة... وراحت تحدق به بهدوء غريب.

شدها نحوه ببطء وضمها اليه بقوة. ثم امسك بخديها ورفع رأسها باتجاهه وعانقها برغبة جائعة. بذلت جهوداً خارقة كي تتمكن من عدم التجاوب معه، وشعرت بانه يحاول ضبط اعصابه بصعوبة بالغة. توقعت ان يدفعها عنه بازدراء واحتقار، ولكنها نسيت على ما يبدو اصراره وعزيمته. ظل يعانقها بقوة ويداعب ظهرها باصابع فولاذية، الى ان ضاعت وما ان احست بنفسها تغرق في بحر من العواطف الهائجة، حتى ابعدها عنه بوحشية بالغة اضطرتها للامساك بأحد المقاعد كيلا تقع على الأرض.

شهقت بدهشة واستغراب وحدقت به لتواجهها نظرات حقد وكراهية. احست بالخجل والعار والاذلال... لأنها لم تتمكن من اخفاء عواطفها نحوه. وسمعته يقول لها بخبث ومكر ظاهرين:

«شكراً لك. اني اشعر الآن برضى وارتياح تامين. فعلى الرغم من نفيك مرات ومرات الا انك لست حصينة تجاهي كما كنت تريدينني ان اعتقد!».

«انك حقير ومبتذل!».

«لا، بالتأكيد لا! انا رجل ذو احاسيس ومشاعر ورغبات. هل كنت تتصورين حقاً انني سأحتفظ لك بأي احترام بعد ذلك التصرف؟ لقد سرني ورفه عني جداً ان ازعزع هذه الواجهة الحزينة والتعيسة التي تتظاهرين بها امام الناس!».

«هل يمكنني الذهاب؟».

«خارج هذه الغرفة، نعم. خارج سانت دومينيك، لا. فلديك ذنوب كثيرة يجب التكفير عنها».

كتمت شهقتها وفتحت الباب ثم جرت بسرعة نحو غرفتها. لم تعد تهتم بما يقوله اي انسان عنها. تريد ان تختبىء... بعيداً عن سخريته اللاذعة وانتقاداته القاسية، واكثر من ذلك كله... عن لمسة يديه.

٨ - سباحة في الأعماق

كانت الساعة تشير الى السادسة والنصف فقط عندما استيقظ دايمون صباح اليوم التالي. كان قلقاً ومتململاً. خرج من سريره متكاسلاً وتوجه الى شرفة غرفته المطلة على البحر، حيث وقف يتأمل يخته الجميل المسمى انابيللا، تهزه برفق وحنان امواج خفيفة هادئة.

وأصغى دايمون باهتمام الى اصوات العمال وعائلاتهم يعدون فطورهم فيما كان الأولاد يقفزون ويلعبون. ما اجمل حياة القرويين! انها طبيعية وبسيطة وغير معقدة. وعاد به التفكير فجأة الى ما قالته ايما عن انابيل. اللعنة! لقد رفض تعليقاتها وملاحظاتها في الليلة السابقة بدون ان يعيرها اهتماماً يذكر. اما الآن، وهو يشعر بأن اليخت يغريه برحلة بحرية طوال النهار، فقد بدأ يفكر بشيء من الذنب عما اذا كان حقيقة يهمل انابيل بسبب الذكريات المؤلمة التي يثيرها وجودها.

شتم غضباً واطفأ سيكارته التي اشعلها قبل لحظات ثم امسك سماعة الهاتف واتصل بابن عمه. واحس دايمون وكأن وقتاً طويلاً انقضى قبل سماعه صوت كريستوفر يجيب متثائباً:

«نعم؟ من المتحدث؟».

«انا، دايمون. ماذا تفعل؟».

«وماذا، بحق السماء، تعتقد انني افعل في السادسة صباحاً؟».

ثم اضاف بلهجة شبه حادة:

«انني في السرير طبعاً!».

«الساعة الآن السادسة والدقيقة الخامسة والثلاثين. ما رأيك برحلة

اليوم على أنابيللا؟».

رد عليه كريس بصوت ينم عن الاهتمام الحقيقي:

«فكرة عظيمة. هل قلت اليوم؟».

«لمَ لا؟».

ثم مضى الى القول:

«هل يمكنك ان تكون جاهزاً خلال ساعة؟ سأحضر معي الطعام والشراب وغير ذلك من الأمور التي سنحتاج اليها».

«عظيم، عظيم! هل سيذهب بول معنا؟».

«اعتقد ذلك. الى اللقاء».

واعاد دايمون سماعة الهاتف الى مكانها، متجاهلاً شعور الأنانية الذي غمره فجأة وبدون مبرر. انه هو والد انابيل... وهو الذي يقرر متى وكيف يرفه عنها!

وبعد ان احضرت روزا طعام الصباح، استهل دايمون الحديث موضحاً له خططه لذلك اليوم. اعرب له بول عن استعداده وسروره لمرافقته في تلك الرحلة، ولكنه نظر الى دايمون بحشرية وسأله:

«ماذا حدث ليلة امس؟ ايما اختفت بعد العشاء مباشرة. هل رأيتها؟ كنت سأدعوها لمرافقتي في نزهة قصيرة حول الجزيرة».

«اتت لمقابلتي ثم ذهبت، على ما اعتقد، لتنام. هل كانت تعرف انك بانتظارها؟».

«لا، لا. ولكن ليس من عادتها ان تذهب الى فراشها باكراً».

وبدا عليه القلق قليلاً ثم اضاف:

«هل تظن انها مريضة؟».

«طبعاً انها ليست مريضة. بالمناسبة، اريدك ان تذهب بعد انهاء طعامك مباشرة لتتأكد من ان جوزف سوف يضع كمية كافية من قوارير الاوكسجين».

«حسناً».

قالها بول وهو يهز بكتفيه قلقاً ومستغرباً، فهذه هي المرة الأولى التي يشعر بأنه لم يتمكن فيها من اختراق ذلك القناع الذي يخفي وراءه دايمون افكاره ومشاعره الحقيقية. ولم يتمكن بول من معرفة سبب ذلك.

كان دايمون وحده ينهي الفنجان الثالث من القهوة عندما دخلت ابنته انابيل. احست بوجود شخص اخر في الغرفة، فقالت:

«ابي؟ هل هذا انت؟».

قام دايمون من كرسيه واتجه نحوها قائلاً وهو يمسك بيدها:

«نعم يا حبيبتي، وقد انتهيت لتوي من تناول فطوري. هل اكلت طعامك؟».

«نعم، شكراً.

ماذا ستفعل اليوم يا أبي؟».

«سنذهب انا وبول وكريس للغوص تحت الماء. ماذا ستفعلين انت؟ كيف اصبحت في السباحة؟».

ردت عليه بهدوء مماثل:

«انني اسبح جيداً هذه الأيام. ولكنني لا اعرف ماذا سنفعل اليوم. سبحنا كثيراً وفي بعض الاحيان نذهب الى الشاطىء لجمع الصدف والاحجار الجميلة. واحياناً نكتفي بحمام شمسي والقيام ببعض الحركات الرياضية. ولكني اتمنى من كل قلبي ان تراني انت بنفسك كيف اسبح. الا يمكنك ذلك، يا ابي؟ اعني... انني لا اراك الا قليلاً».

تنهد دايمون، فأحمر وجه انابيل التي اصبحت تعرف مزاجه واسلوبه معها. وقالت بلهجة حاولت جاهدة اخفاء الحزن منها:

«اعرف، اعرف. انك مشغول جداً».

احس دايمون بانزعاج شديد من نفسه وطريقة تصرفه معها. انها ابنته التي يحبها كثيراً... وهي تشعر بأنه مشغول جداً عن الاهتمام بها او تمضية المزيد من الوقت معها.

ركع على ركبتيه امامها وضمها الى صدره بحنان ومحبة، وقال لها:

«وماذا بالضبط تريد ان تفعله اليوم بطفي الجميلة؟».

ردت عليه بلهفة وبدون تردد، وقد علت وجهها البريء ابتسامة كبيرة:

«اريد ان اذهب معك... كما فعلنا في اليوم الثاني لوصولك».

وتوقفت لحظة ثم سألته بلهفة واضحة:

«هل بامكان ايما ان تأتي معنا ايضاً؟».

«اسمعي الآن!».

وعضّ دايمون شفتيه بقوة. ان يأخذ انابيل معه، فهذا امر طبيعي. اما مع ايما، فالوضع مختلف الى حد كبير. واكمل جملته محاولاً اقناعها بالتخلي عن طلبها:

«كنا، نحن الرجال الثلاثة، سنقوم برحلتنا البحرية بمفردنا. ولكني لا اجد اي مانع على الاطلاق من ذهابك معنا، ان كنت حقاً ترغبين بذلك. ولكن ايما قد تشعر بالانزعاج والحرج لوجودها مع ثلاثة رجال».

«ربما ستشعر بذلك».

ثم افتر ثغرها الجميل عن ابتسامة عريضة وذكية قائلة:

«ولكنها لن تكون معكم بمفردها، فأنا ايضاً سأكون هناك».

وتوقفت لحظة ثم اضافت:

«ثم، الا يمكنك ان تدعو هيلين للانضمام الينا. انها لم تتعرف بعد على ايما».

«صحيح، انها لم تلتق بعد بايما. ولكنها قد لا تكون راغبة في الانضمام الينا. ربما ايما نفسها لا تريد الذهاب معنا».

«اذن لنسألها! انت تتصل بهيلين وانا اسأل ايما. يمكننا ان نقيم حفلة رائعة ونمضي وقتاً ممتعاً للغاية. يمكننا الذهاب الى احد الخلجان الصغيرة الهادئة واريك هناك كيف اسبح».

تمنى دايمون بعض الشيء لو انه لم يبدأ هذه المحادثة بكاملها. وقال لابنته بلهجة من غلب على امره:

«اسمعي! اذهبي الآن واسألي ايما رأيها في الموضوع، وانا سأنتظرك هنا».

«حسناً».

قالتها بسرعة وخرجت مهرولة قبل ان ينهي والدها جملته. وقف دايمون مبتسماً وهو يشعر بشيء من الارتياح. فمن المؤكد ان ايما سترفض الذهاب معه بعد ذلك اللقاء العاصف الذي حدث بينهما في الليلة السابقة. ولكن انابيل عادت بسرعة ووجهها يشع بالبهجة والسرور. وقالت له وهي تقفز فرحاً:

«قالت ايما انها ستأتي معنا. قالت لي انها لن تتمكن من رفض طلبي».

«حسناً. سأتصل بكريس لأسأله عما اذا كانت هيلين تريد الانضمام

الينا. ما رأيك؟».

«اذا كنت تعتقد ان ذلك ضروري فعلاً».

تذكر دايمون ولو متأخراً ان ابنته لا تحب هيلين كثيراً. فزوجة كريس تميل الى معاملتها كطفلة عاجزة في حين ان انابيل لا تريد شفقة احد. وما كانت مناشدتها اياه لاحضار هيلين الا لضمان موافقته على انضمام ايما. ولكنه بالتأكيد يرفض تمضية يوم بكامله تكون فيه ايما الامرأة الوحيدة. ولذا فقد رفع سماعة الهاتف وهو يقول:

«اعتقد ان ذلك ضروري يا تفاحتي الحلوة».

جلست انابيل قرب ايما وكانت الطفلة الصغيرة تعرف ان الجميع سيمضون يوماً رائعاً، فمجرد وجودها على اليخت مع والدها وايما، بالاضافة الى حمام شمسي والسباحة في فترة لاحقة، أدخل السعادة والبهجة الى قلبها. وكانت ايما تشاطرها ذلك الشعور وهي تتكىء على احد اعمدة اليخت. الا انها لم تكن متأكدة من انه ستكون لديها الجرأة الكافية لخلع سروالها القصير وقميصها، على الرغم من اشتداد الحر، ان ظلت الامرأة الوحيدة بين ثلاثة رجال وطفلة.

ابلغتها انابيل ان بول سيذهب معهم، وكذلك كريس. وذكرت ان هيلين زوجة كريس، قد لا تنضم اليهم مع ان والدها دعاها الى ذلك. ثم اضافت وهي تحرك انفها وفمها بطريقة مضحكة:

«هيلين لا تحب النزهات البحرية كثيراً. ولكنها اذا علمت بوجودنا نحن، فانها ستأتي على الارجح... لمجرد الحشرية لا اكثر».

ابتسمت ايما لاستخدام انابيل اسلوبها في التحدث عن الراشدين. وتمنت لو ان هناك اطفالاً اخرين كي تلعب معهم، لأنها تعيش بصحبة البالغين طوال الوقت. وما هي الا لحظات حتى بدأ دايمون وبول يرفعان الاشرعة. فلماذا استخدام المحرك عندما يكون الطقس رائعاً والهواء مواتياً! وشعرت ايما بانهم على وشك الابحار نحو جزيرة سانت كاترين.

انها لم تلتق بعد بهيلين، واحست انها متضايقة من ذلك اللقاء المرتقب... خصوصاً انها ستضطر لرؤية كريس مرة اخرى. فهي لم تره منذ ذلك اليوم الذي قالت له ما تشعر به تجاهه. وتساءلت بصمت عما اذا كان ذلك النهار سيمر بنجاح وبدون عوائق ومشاكل كبيرة بسبب التيارات

النفسية العنيفة التي ستعصف به!

وتحولت انظارها رغماً عنها الى دايمون. كان يرتدي سروالاً قصيراً وقميصاً يظهر مكتبيه العريضين وصدره الواسع وعضلاته القوية والمفتولة. وكان يزنر معصمه بساعة ذهبية جميلة وتتدلى من عنقه سلسلة ذهبية تحمل ميدالية ذهبية صغيرة عليها رسم القديس كريستوفر. وتذكرت ايما الميدالية وكيف كانت تغيظه بسببها في الأيام السعيدة. وتطلعت نحو بول ريجيني الذي كان يرتدي ثياباً مماثلة، الا انه لم يكن اكثر جاذبية من رئيسه. ولاحظت ايما باعجاب العلاقة القائمة بين الرجلين. فهما صديقان حميمان، كما ان بول يحترم رب عمله ويعجب به الى حد كبير.

وقالت انابيل، التي يزنر خصرها طوق مطاطي ربط بالسياج المعدني لليخت تحسباً لأي طارىء:

«انها ستكون رحلة رائعة، اليس كذلك؟».

وشدت على يد ايما ومضت الى القول بحماسة وعفوية:

«اوه، ايما، اتمنى ان يكون كل يوم كهذا اليوم!».

شدت ايما على يد الطفلة الصغيرة بحنان مماثل ولكنها لم تجب. وتحرك اليخت ببطء وهدوء بعد ان ملأ الهواء الاشرعة الكبيرة. وشعرت ايما بالنسيم العليل يداعب شعرها، فسرها، انها شدته الى الوراء وربطته باحكام كيلا يغطي وجهها بين الحين والآخر. ووضعت نظارة الشمس على عينيها واتكأت على مرفقيها بتكاسل ظاهر. وابتسمت... انه يوم جميل للغاية! وفجأة احست بأن بول جلس قربها وهو يقول بمرح:

«مرحباً! هل قال لك احد من قبل انك شابة جميلة وجذابة؟».

ضحكت واجابته على الفور:

«لا احد على الاطلاق. وانا لا اصدقك. انك احد اولئك الايطاليين الغزليين العاشقين الذين اقرأ عنهم دائماً».

احتج بول ضاحكاً:

«لا، اني اعني ما اقول!».

ثم اضاف بهدوء:

«سنصل خلال دقائق معدودة الى سانت كاترين. لا ادري ما اذا كانت هيلين ستنضم الينا ام لا».

ردت عليه انابيل وهي نصف نائمة تقريباً:

«سوف تأتي! اتصور ان مجرد رغبتها في مشاهدة ايما سيحملها على المجيء. ايما لم تذهب بعد الى سانت كاترين».

«صحيح، انها لم تذهب بعد!».

وحول نظره الى ايما وسألها:

«لمَ لم تذهبي من قبل يا ايما؟».

«لا سبب في ذلك. كل ما في الأمر انه لم توجه الي دعوة لزيارة الجزيرة».

بدا التشكك على وجه بول وقال:

«يمكنني ان احزر السبب. انه كريس، اليس كذلك؟».

«وماذا تعني بذلك؟».

«لا تقولي لي انك لا تعرفين عن مغامرات كريس العاطفية. مع لويزا، مثلاً!».

ودرس ملامحها وانفعالاتها لحظة ثم اضاف:

«أهذا السبب كان دايمون غاضباً وساخطاً الى تلك الدرجة؟ وصلت متأخرة يوماً عن الموعد المقرر لك، وكان ابن العم في استقبالك. واحد مع واحد يساوي اثنين...».

«وربما خمسة!».

قالتها ايما بلهجة جافة الى حد ما. ثم نظرت الى جارها وقالت له بجدية:

«يؤسفني ان اخيب آمالك، ولكنني لم التق كريس الا ذلك اليوم... ولم تقم بيننا بالتأكيد اي علاقة على الاطلاق!».

«صحيح، ولكنه حاول مغازلتك. اني اقرأ ذلك في عينيك وملامحك. ولكنك كنت اكثر ذكاء واشد دهاء من لويزا. فعندما علمت انه متزوج ارسلته خائباً يجر اذيال الفشل والهزيمة. صحيح؟».

سبقتها انابيل الى الاجابة، فقالت:

«هذا صحيح. اتى كريس بعد يومين من وصول ايما الى سانت دومينيك وطلب منا نحن الاثنتين مرافقته، ولكن ايما رفضت ذلك... وكانت تشتعل غضباً وغيظاً!».

«اوه، انابيل!».

احست ايما بالخجل لأن موضوعاً خاصاً كهذا طرح فجأة على بساط البحث والمناقشة وبخاصة امام شاب غريب وطفلة صغيرة. وسمعت بول يردد بسرور وارتياح:

«عظيم. عظيم جداً!».

وشعرت ايما بأن شخصاً رابعاً يقترب منهم، فتطلعت لتجد دايمون واقفاً على بعد امتار قليلة يراقبهم بهدوء . انه بالتأكيد قادر على سماع احاديثهم، فماذا سيكون تحليله للموضوع او رد فعله عليه؟ الا انه لم يعلق بشيء على كلامهم، بل قال لبول بصوت هادىء:

«تعال وساعدني!».

قفز بول وغمز ايما ثم لحق بدايمون مسرعاً.

وتوقف اليخت في سانت كاترين، فصعدت اليه هيلين ثورن التي كانت النقيض التام لما توقعته ايما. فقد تصورت ان زوجة كريس ستكون طويلة ونحيفة ومرهفة الاحاسيس. ولكنها كانت مخطئة الى حد كبير. فهيلين قصيرة القامة، مثلها تقريباً، ولكنها ممتلئة الجسم بشكل واضح. وكانت ترتدي ثياباً صيفية تظهر الجسم المترهل على حقيقته.

رحب بها دايمون بشكل عابر. الا انه كان واضحاً ان عينيها تبحثان بعصبية وتبرم عن الامرأة الاخرى. ولما وقع نظرها على ايما، النحيلة والجذابة، عضت على شفتها بانزعاج ووجهت الى كريس نظرة قاتلة. وقالت ايما لنفسها ان كريس ربما اخبر زوجته عن ممرضة عانس في اواخر الاربعينات من عمرها، املاً في الا تلتقي بها ابداً. هذا هو كريس، وهذا هو اسلوبه!

تم التعارف بسرعة وايجاز... وفي هذه الاثناء كانت انابيل صامتة لا تتفوه بكلمة واحدة. وعرفت ايما السبب عندما شاهدت هيلين تقترب منها بعد بضع دقائق وتقول لها:

«مرحباً يا حبيبتي. كيف حالك؟ هل تشعرين انك افضل قليلاً هذا اليوم؟ من المؤكد ان هذا الهواء النقي سيساعدك كثيراً».

تنهدت انابيل وردت قائلة:

«انني مرتاحة ومسرورة جداً، يا هيلين. شكراً!».

ثم اضافت بابتهاج متعمد:

«لم اشعر في اي يوم مضى بافضل مما اشعر به اليوم».

علقت هيلين على كلامها بمكر وخبث واضحين:

«انك حقاً فتاة شجاعة... تأتين في رحلة بحرية كهذه وانت لا تبصرين او تعرفين السباحة».

شعرت ايما بانزعاج وانقباض شديدين، فتدخلت قائلة:

«انابيل تسبح جيداً. انا علمتها».

نظرت اليها هيلين ببرودة وقالت:

«هل فعلت ذلك حقاً؟ كنت اتصور انك ممرضتها لا رفيقتها او مدربتها».

«انابيل وانا صديقتان حميمتان. اننا نستمتع جداً برفقة بعضنا. وبما انني احب السباحة، فقد شعرت بانها هي ترغب بذلك وسرني جداً انني دربتها ونجحنا».

«ولكن الا تعتقدين ان السباحة هواية خطرة بالنسبة الى فتاة صغيرة عمياء؟».

وسمعت ايما صوتاً وراءها يجيب قبلها:

«اعتقد ان ايما تعرف اكثر منك يا هيلين في هذا المجال».

انه دايمون... وقد هب للدفاع عنها. انها لا تصدق اذنيها. ولكن هيلين لم تستسلم، اذ قالت لدايمون باستغراب مصطنع:

«اوه، دايمون! انك نادراً ما تأتي الى سانت دومينيك، ولذا اشك كثيراً في انك تعرف مشاعر الطفلة على حقيقتها».

وجلس دايمون قربهن ولمست ركبته ذراع ايما فاحست بموجات كالصدمة الكهربائية تسري في عروقها وعظامها. ابعدت ذراعها بسرعة وبطريقة لا تلفت النظر. وسمعت دايمون يرد على تلك الملاحظة القاسية قائلاً:

«ربما لا اعرف. ولكنني اذا كنت اعرف قليلاً، فانت تعرفين اقل. وعليه، ارجو الا ندخل في جدال عقيم في يوم جميل كهذا. انني مسرور يا هيلين لأنك قررت الانضمام الينا، فالتغيير يفيدك كثيراً».

أرسى دايمون اليخت خلال فترة الغداء قرب شاطىء احد الخلجان الصغيرة، حيث توجد صخرة ضخمة ترتفع عن سطح الماء عشرات

الامتار وفيما كانت ايما تتطلع باعجاب الى تلك الصخرة العملاقة، اقترب منها كريس وتحدث معها للمرة الأولى ذلك اليوم:

«يسمونها حجر مينرفا، انها شكل مثير للدهشة والاعجاب، اليس كذلك؟ وهي ايضاً مركز رائع ومغر للقفز الى الماء».

ردت باستغراب واضح متسائلة:

«هل يقفز احد فعلاً من هذا العلو الشاهق؟».

«بعض الاشخاص، نفر قليل طبعاً. واعترف بأنني لست منهم».

وأرغمها على النظر اليه عندما سألها كطفل مذنب:

«هل غفرت لي؟».

ابتسمت ايما ابتسامة خفيفة وقالت:

«يجب الا اغفر لك ابداً!».

«ولكنك غفرت».

«أوه، اعتقد ذلك. هل انت متزوج منذ فترة طويلة؟».

«منذ عشر سنوات. كنت آنذاك في العشرين بينما كانت هي في الخامسة والعشرين».

«اوه!».

استدار كريس الى الجهة الاخرى ونظر اليها بعينين مداعبتين وهو يقول لها:

«بعد الغداء سيذهب دايمون وبول للغوص تحت الماء، فما رأيك ان ننضم اليهما!

ارتجف جسمها وقالت له:

«الغوص ليس من هواياتي المفضلة. ثم، علي الاهتمام بأنابيل».

«انابيل ترتاح عادة بعد الغداء، وانا سأعلمك على الغوص».

«لا اعرف...».

وترددت. انها ترغب في تعلم الغوص تحت الماء ولكنها تخشى مرافقة كريس. هيلين تراقبهما بعينين كعيني الصقر... وقد تظن انها سارقة ازواج! وفي تلك اللحظة وصل دايمون وسألها:

«هناك كميات كبيرة من المأكولات والمرطبات في القمرة. هل تريدان تناول الغداء هنا؟».

وعرفت ايما انه لا يوجه الحديث اليها مع انه استخدم صفة المثنى تأدباً.
احنت رأسها قليلاً كي تتجنب نظراته، فسمعت كريس يقول بلهفة:
«اوه، دايمون، شكراً. الغداء هنا افضل سأذهب حالاً لاحضار الطعام».
وفور ذهابه، سألها دايمون بصوت منخفض وآمر:
«ماذا كان كريس يقول لك قبل لحظات؟».
«انه... طلب... طلب مني مرافقته للغوص تحت الماء، عندما تكون انابيل مرتاحة بعد الغداء».
واحمرت وجنتاها وهي تضيف بحياء:
«لا تقلق! لم اوافق على طلبه. اعتقد انك لا تريدني ان اذهب معه، وهذا امر يناسبني تماماً».
«اللعنة! ان لديك حقاً اعصاباً فولاذية! اسمعي يا ايما، اياك ان تعامليني كطالب مراهق لا يفهم شيئاً!».
ثم نظر نحو حجر مينرفا وسألها:
«هل تعرفين الغوص تحت الماء؟».
«لا».
ونظرت الى ناحية اخرى فأمسك كتفها بقوة وادارها نحوه، ثم سألها:
«وهل تريدين التدرب على ذلك؟».
تنهدت ايما وسألته بهدوء:
«وماذا تظن؟».
«حسناً. انا سأعلمك بنفسي يمكنك ان تقولي ذلك لابن العم عندما يسألك مرة اخرى».
لم تكن ايما جائعة اثناء الغداء، فافكارها منشغلة بالفترة التي ستمضيها مع دايمون في وقت لاحق. الفكرة مثيرة... ولكن اعصابها اصبحت مشدودة كأوتار العود. أمعت نفسها قليلاً بتأمل السماء والبحر حتى انتهى الجميع من تناول غدائهم. وعندئذ اخذت انابيل الى السرير المخصص لها، ثم عادت لتنضم الى الآخرين. ولما اعربت هيلين عن رغبتها في البقاء على ظهر اليخت نزلت ايما والرجال الثلاثة الى الزورق الصغير الذي نقلهم الى الشاطىء الرملي الجميل.

خلع الرجال قمصانهم وسراويلهم التي يرتدونها فوق ثياب السباحة.
استجمعت ايما شجاعتها وقوة ارادتها وقامت بخطوة مماثلة كشفت عن جسم جميل تغطي مفاتنه قطعتان صغيرتان. وتجاهلت ايما نظرات الاعجاب والرغبة التي رمقها بها بول وكريس.
احضر الرجال الأجهزة اللازمة من الزورق. وخلال لحظات، كان كريس وبول قد اعدا نفسيهما وركضا نحو الماء. وبعد بضعة امتار، رفعا رأسيهما قليلاً واندفعا بقوة نحو القاع ليختفيا عن الانظار بسرعة مذهلة.
نظر دايمون الى وجه ايما المشدوه وقال لها وهو يبتسم نصف ابتسامة:
«عملية سهلة، اليس كذلك؟ انها في الحقيقة ليست صعبة على الاطلاق، ما دمت لا تنزلين الى عمق كبير. تعالي لأساعدك في حمل القارورة».
كانت ايما ترتجف وهي تضع قدميها في اثنتين من الزعانف المطاطية التي تساعد السابح على التحرك بسرعة اكبر. سألها دايمون وهو مقطب الحاجبين:
«هل تشعرين ببرد؟ اذا كان الأمر كذلك، فالأفضل الا تنزلي الى الماء».
«انني لا اشعر بالبرد، ولكنني خائفة قليلاً».
«انت معي!».
«وان يكن!».
«لن ادعك تغرقين نفسك، ان كان هذا ما يقلقك ويخيفك».
وقفت ايما بصعوبة نظراً لاستخدامها الزعانف المطاطية للمرة الأولى. واخذت تتأمله لحين انتهائه من اعداد نفسه، فيما احست بأن انزعاجها الناجم عن شعورها بقربه منها وانفراده بها يتزايد بسرعة وباستمرار. انها لم تره في ثياب البحر من قبل. وتساءلت بصمت كيف سيكون تفكيره ورد فعله لو عرف مدى رغبتها في ضمه اليها بقوة وحنان. احتقرها واذلها لأنه اعتقد بأنها لا تبالي كثيراً بوجوده ولا تشعر بشيء نحوه. وسألت نفسها بأسى عما اذا كان يحق له ان يشعر تجاهها بمثل هذا الغضب وهو الذي سارع الى الزواج من اليزابيت بمجرد انفصالهما عن بعضهما!
ولما اصبحا جاهزين، التفت نحوها وسألها:
«حسناً، هل انت مستعدة؟».

«كأفضل ما يكون عليه الاستعداد».

بعد فترة قصيرة من نزولها الى الماء، شعرت ايما بانه لم يكن اي داع على الاطلاق للخوف والقلق. فالعملية كانت سهلة جداً وقد فتحت لها افاقاً جديدة ممتعة. انه عالم اخر من الجمال والروعة...

ظلت ايما على هذا النحو بعض الوقت. وعندما احست بأن رجليها تعبتا، خشيت ان تتشنجا وتتوقفا عن الحركة، فسارعت الى الشاطىء حيث وضعت عدة الغوص واستلقت قربها على الرمال الدافئة وهي مغمضة العينين.

تبين لها عندما فتحت عينيها انها نامت فترة من الزمن. فقد كان دايمون جالساً قربها يشد سدادة قارورة الاوكسجين، فيما كان بول وكريس يقفزان الى الماء من على صخرة تعلو حوال عشرة امتار بعد ان احضرا اجهزتهما الى الشاطىء. اتكأت على مرفقيها وسألت دايمون بلهفة:

«هل مر وقت طويل وانا نائمة؟».

نظر اليها واجابها بهدوء:

«حوال ربع او ثلث ساعة لا غير. اعتقد انك كنت مرهقة، فالانسان يحتاج الى بعض الوقت قبل ان يعتاد على الغوص والبقاء طويلاً تحت الماء».

ثم ابعد القارورة الفارغة وسألها:

«هل تريدين سيكارة؟».

هزت برأسها واجابت:

«نعم، شكراً».

وأدهشها انه اشعل السيكارة بنفسه قبل ان يعطيها اياها. أخذتها منه مكررة شكرها ثم سألته:

«كم الساعة الآن؟».

«بعد الثالثة بقليل. ارتاحي! اذا استيقظت انابيل، فبامكان هيلين الاهتمام بها قليلاً».

ثم ابتسم واضاف قائلاً:

«اعتقد انه لم تكن لديك اوقات فراغ معقولة منذ وصولك حتى الآن».

«لدي كل مساء».

«نعم، ولكن امسياتك هي لك اصلاً ولا يمكن اعتبارها اوقات فراغ.

اعني ان كل موظف يحق له يوم واحد على الأقل كاجازة اسبوعية».

«حسناً. انا اشكرك».

سحبت ايما رجليها وطوقت ركبتيها بذراعيها ثم وضعت رأسها فوقهما واغمضت عينيها. اما دايمون فقد استلقى على ظهره وسألها فجأة:

«اخبريني يا ايما! لماذا بالضبط قطعت علاقتنا؟».

صعقت بسؤاله المفاجىء وغير المتوقع. لم تكن مستعدة لسؤال كهذا، فاجابته بتوتر ملحوظ:

«انت تعرف السبب».

«دعيني اصحح كلامك. انا اعرف ماذا قلت لي انت.. بأن شخصاً تبين لك فجأة انذاك، أنكما تحبان بعضكما».

احست ايما بأن جسمها كله، وليس وجهها فقط، احمر خجلاً. ترددت لحظة ثم قالت له:

«هل من الضروري ان نبحث الموضوع الآن؟ اعني ان وقتاً طويلاً...».

وتمنت لو ان بامكانها رؤية عينيه وقراءة تعابيرهما. وأحست بشكل قاطع انه تعمد وضع نظارتيه البنيتين على عينيه كي يصبح في موقف متميز. وسمعته يتمتم بلهجة ساخرة:

«نعم، اعتقد ذلك. فأنا... انا هو الشخص الذي نكثت بعهدك له ونبذته كخرقة بالية».

«اوه، توقف! توقف! كنت مستاء وحزيناً جداً لدرجة انك سارعت للزواج من اليزابيت كينغزفورد ولم يمض على انفصالنا سوى عشرة اسابيع!».

ويبدو انها اصابت وتراً حساساً للغاية. فانتزع نظارتيه بعصبية فائقة وحدق بها بعينين باردتين غاضبتين تقدحان ناراً وقال لها بحدة وعنف:

«اريد الحقيقة يا ايما، واقسم لك بأنني انوي فعلاً التوصل اليها!».

«لا اعرف ماذا تعني».

الا ان محاولتها لصم اذنيها عن سماع كلماته باءت بالفشل، اذ جاءت كلماته التالية تحمل بين طياتها سخرية باردة اسوم من اي غضب عارم:

«نعم، تعرفين. لم يكن هناك اي رجل آخر، أليس هذا صحيحاً؟

وحتى لو كان ثمة رجل في حياتك، فأين هو؟ لا يا ايما، لم يكن هناك احد، ولكنك انت اعدت النظر في الموضوع. كنت في الثمانية عشرة بينما كنت انا في السابعة والثلاثين، اي ما يزيد على ضعف عمرك! لم تعترفي بأنك كنت تعتبرينني عجوزاً بالنسبة اليك؟ في عمر والدك تقريباً؟».

«لا!».

خرجت تلك الكلمة من فمها كسهم محترق وحدقت به بعينين زائغتين معذبتين وهي تتمتم بعصبية بالغة:

«لا، لا، لا! هذا ليس صحيحاً ابداً!».

نظر اليها دايمون بعينين مشككتين، فابعدت وجهها عنه بتألم وانكسار. انه لن يصدقها على الاطلاق! وشاهدت كريس وبول يقتربان منهما وهما يلوحان بأيديهما فشعرت بالارتياح. اذ ان وجودهما سيحول على الأقل دون استمرار هذا الحوار المزعج. ولما سألها بول ان كانت تريد السباحة معه، قفزت بسرعة شاكرة له دعوته وركضت امامه نحو الماء.

كانت السباحة منعشة جداً لها، وعوض سرور بول الواضح برفقتها عن غضب دايمون وتصرفه العنيف معها. وأخذها بول الى المكان الذي صعد منه وكريس الى حافة صغيرة ثم الى ما يشبه درجاً صخرياً يقود الى فسحة في تلك الصخرة العملاقة كانا يقفزان منها قبل قليل. وسألها بول متشككاً:

«هل يمكنك الغطس من هناك؟ لا تحاولي الا اذا كنت متأكدة من قدرتك على ذلك».

ثم ابتسم بتحد واضاف قائلاً:

«يمكنك انتظاري هنا».

«اوه، لا! لا اريد الانتظار. لقد غطست عدة مرات في حياتي، وانا متأكدة من انني سأكون بخير».

«حسناً».

ابتسم بول وشد على يدها ثم سألها:

«هل تعرفين ان دايمون كان يقفز من قمة الصخرة عندما كان بالطبع اصغر سناً؟».

نظرت إيمًا الى القمة وهي تهز برأسها غير مصدقة، فإن العلو شاهق

جداً. وسألته بجدية:

«أليس ذلك خطراً؟».

«ليس الى الحد الذي تتصورين، وخاصة مع خبراء القفز. الا ان الخطر يكمن اثناء القفزة نفسها بحيث يضطر الانسان للمحافظة على توازنه. فاذا اختل التوازن، يمكن للانسان ان يكسر ظهره... او يدق عنقه!».

بلعت ايما ريقها بصعوبة. فتصورها لدايمون وهو مصاب بجروح بليغة ومميتة او بشكل دائم، لهو امر رهيب ومروع. ثم بدأت تصعد مع بول الى تلك المنصة الحجرية الطبيعية للانقضاض منها الى سطح الماء. وبعد حوال نصف ساعة، انضم اليهما كريس فيما توجه دايمون بزورقه الى اليخت واحضر انابيل وهي ترتدي ثياب السباحة. ولعب الجميع على الشاطىء، وسبحوا. وكانت انابيل تختال كالطاووس بعد كل مرة تسبح فيها لبضع دقائق. وبعد فترة من الزمن، عادوا جميعاً الى أنابيللا حيث تناولوا بعض المرطبات ورجعوا الى سانت كاترين وسانت دومينيك.

وفي طريق العودة، جلست هيلين بين ايما وانابيل وسألت الكبيرة منهما:

«كيف حصلت على هذه الوظيفة يا آنسة هاردينغ؟ هل أنت ممرضة اطفال؟».

هزت ايما رأسها واجابت بهدوء:

«لا. كنت ممرضة في احد مستشفيات لندن، ولكن تمضية بضعة اشهر في جزر البهاما كانت فرصة ذهبية لم ارد تفويتها».

وقالت ايما لنفسها ان الوضع الحقيقي تغير بصورة جذرية. فبينما كانت مسألة استخدامها في البداية امراً مؤلماً ومذلاً للغاية، اصبحت مهمتها الآن ممتعة الى حد كبير... على الرغم من بعض المواجهات العنيفة مع دايمون. وشعرت بأنها اصبحت تفضل البقاء في البهاما اكثر من لندن، ولكن دايمون فقط يظل ذكريات من الماضي تداعب قلبها وعواطفها. وسمعت هيلين تسألها بحشرية واضحة:

«اذن، كيف اختارك دايمون لهذه المهمة؟».

«انا... انا تقدمت اليها عندما قرأت اعلاناً عنها».

«هل اعلن عنها؟ هذا امر غير مألوف بالنسبة الى دايمون. فهو يطلب عادة من احدى الشركات او الوكالات المتخصصة استخدام

موظفيه».

احمر وجه ايما واضطرت للمضي في كذبتها البيضاء، فقالت:

«في هذه الحالة اعلن عن الوظيفة مباشرة».

٩- السارقة!

خصّص دايمون الايام القليلة التالية بكاملها لأنابيل. وشعرت ايما بأنها كشخص اضافي لا ضرورة له، لأن دايمون تولّى جميع المهام التي كانت تقوم بها. وتمكّنت ايما من البقاء وراء الكواليس طوال هذه الفترة، الا انها لم تعزل نفسها تماماً عن الآخرين. فقد اخذها بول الى ناسو بعد ظهر احد الأيام، وكانت رحلتهما ستطول الى ما بعد العشاء لولا انها اصرّت على العودة لان انابيل قد تكون بحاجة اليها. اما السبب الاساسي لرفضها فهو احساسها بأن بول يريد علاقة أوثق من مجرد الصداقة العادية. ومع انه يعجبها كثيراً لكن لم يكن لديها اي اهتمام شخصي به، ولا تريد بالتالي التصرف عكس ذلك.

استلمت رسالة من شقيقها جوني أزعجتها قليلاً. فهو يجد صعوبة على ما يبدو في التأقلم مع وضعه الجديد وفي رعاية اموره الحياتية. وقارنت ايما بين حياتها في لندن وتلك في سانت دومينيك، فبدت الاولى باردة وتتركز بمعظمها على عملها في المستشفى.

وفي صباح مبكر، بعد ثلاثة ايام، غادر دايمون وبول الجزيرة بالطائرة المروحية. وعلمت من تانزي انهما توجها الى الولايات المتحدة لاكمال صفقة هامة هناك. بعد ذهابه، تغيّر كل شيء. فمجرّد وجوده في البيت أضفى نوعاً من الحيوية والنشاط الى الاعمال اليومية المعتادة. أما الآن فان المكان يبدو خالياً... مهجوراً.

تأثرت انابيل لسفر والدها ولكنها كانت في الوقت ذاته مسرورة جداً لأنه اظهر مثل هذا الاهتمام الفائق بها خلال الايام القليلة الماضية. صبح

www.elromancia.com

معها، لعب معها، قرأ لها، واخبرها قصصاً وطرائف مسلية. ووجدت ايما صعوبة في تغطية الفراغ الكبير الذي خلفه رحيله، مع ان انابيل اصبحت تحبها وتتعلق بها الى حد كبير.

بعد اسبوع من ذهاب دايمون، تسلّمت ايما وانابيل دعوة لتمضية فترة ما بعد الظهر في سانت كاترين. دمدمت انابيل وتذمرت عندما ابلغتها ايما بان عليهما قبول الدعوة، ولكنها وافقت بتردد في نهاية الامر وتوجهتا بالزورق السريع الى الجزيرة المجاورة.

لم يكن منزل هيلين كما توقعته ايما على الاطلاق. فالنظافة بعيدة عنه كل البعد، وكأن احداً لا يراقب الخدم او يشرف على عملهم. كما تنتشر في غرفة الاستقبال، هنا وهناك، اعداد كبيرة من الكتب والصحف والمجلات. وقد اخفى كريس نفسه على ما يبدو في غرفة مكتبه، حيث كانت ايما تسمع صوت الآلة الكاتبة بوضوح. وحاولت هيلين جاهدة ان تظهر الود والدماثة تجاه ضيفتها، الا ان ايما شعرت بان مضيفتها كسولة جداً اذ تترك بيتها ونفسها على تلك الحالة المزرية. فثيابها ليست مرتبة ابداً وشعرها على ما يبدو لم يغسل منذ عدة ايام. وكانت هيلين تحيك باستمرار كما فعلت معظم الوقت خلال الرحلة البحرية. وبعد ساعتين تقريباً، احسّت الضيفتان بالارتياح الشديد لأن الوقت قد حان لعودتهما الى سانت دومينيك. وتمنت ايما الا تضطر لتكرار هذه الزيارة ابداً.

ومضت الايام التالية ببطء وتكاسل، كانت ايما ترسل خلالها عدة رسائل لاخيها وتستلم منه بين الحين والآخر بعض الاجابات المقتضبة. ولم يكن يشغلها سوى قلقها تجاهه.

وفي سان فرانسيسكو... كان دايمون ثورن يشعر بالانقباض والانزعاج. مضت ثلاثة اسابيع كاملة على عودته الى هذه المدينة الاميركية انهى خلالها الاعمال التي اتى من اجلها. وسوف يتوجه في اليوم التالي وبرفقته بول ريميني الى لندن. الا ان العمل لم يكن سبب انقباضه وضيقه. فعلى الرغم من تركيزه المكثف على اشغاله واعماله، الا انه لم يتمكن من طرد ايما هاردينغ من افكاره. واصبح عصبي المزاج يثور لأدنى سبب. حتى ان بول لم يعد قادراً على التصرف معه الا بهدوء وحذر بالغين.

كان يمضي معظم امسياته في تلبية دعوات الى العشاء والسهرة من

زملائه واصدقائه الذين يريدون لقاءه اثناء وجوده في المدينة. ومع انه كان مهذباً ولطيفاً ودمثاً مع الآخرين، الا انه ينقلب الى انسان آخر عندما يكون بمفرده. كان حزيناً ومنقبضاً، ويعرف ان بول لن يقدر على تفهم السبب الحقيقي لذلك. اندفع اكثر من مرة ليبلغ صديقه ومساعده المخلص عن علاقته السابقة بايما، ويكشف له بالتالي سر تصرفاته الغريبة هذه. ولكن دايمون ثورن ليس ذلك الرجل الذي يسعى الى اشفاق احد... وخاصة عندما يشعر بانه يتصرف برعونة وغباء.

وشتم نفسه بغضب وهو يمشي بعصبية في غرفته بفندق رويال باي. لماذا يصرّ عقله على محاولة ايجاد سبب لتخلي ايما عنه قبل سبع سنوات؟ لماذا لا يمكنه ان يقبل بما قالت له؟ ولكنّ نقاطاً كثيرة توقف عندها عقله العلمي والمنطقي مرات ومرات. فعندما اعلنت عن رغبتها في فك الخطبة، شعر بأذية وسخط شديدين لدرجة انه عين تحرياً خاصاً لمراقبة تحركاتها والابلاغ عنها ساعة فساعة. واكتشف آنذاك ان لا وجود لاي رجل آخر في حياتها، بالرغم من اصرارها الشديد على ذلك. وتأثر جداً عندما افترض بان اسباب انسحابها تعود اليه وحده... الى سنه، مظهره، شخصيته...

وزاد احتقاره لنفسه. فالآن، وبعد تصرفاتها تلك معه، لا يزال يشعر برغبة قوية تجاهها. وتذكرها قربه على الرمال أمام حجر مينرفا فثارت مشاعره المتناقضة. اشعل سيكاراً وجلس في مقعد قريب من النافذة. سمع طرقة خفيفة على الباب، فقال بشيء من العصبية:

«ادخل!»

دخل بول وأغلق الباب وراءه، فيما كانت تعلو وجهه ابتسامة عريضة. أخذ علبة سكائره من جيبه وقال:

«لديك زائر لا تتوقع حضوره البتة!».

وأشعل سيكارته ثم اضاف بخبث:

«السيدة تساي بن لونغ!».

«انك تمزح!».

«آسف، ولكني لا امزح. كنت اشتري علبة سكائر عندما اقتربت مني وسألتني عما اذا كنت ستمضي بعض الوقت في المدينة. فأخبرتها بالطبع اننا متوجهان غداً صباحاً الى لندن».

«طبعاً! ثم ماذا؟».

«دعتنا لتناول فنجان من الشاي معها».

«اللعنة! وهل هي في المطعم الآن؟».

«نعم، ومن الارجح انها ستظل هناك الى ان ننضم اليها».

وقف دايمون بحدة وقال:

«هذا آخر شيء أريده الآن. كنت اريد تناول الطعام».

هزّ بول كتفيه واقترح عليه ان يطلب طعامه الى الغرفة. ثم اضاف قائلا:

«قد اشاركك الطعام هنا».

«لست في مزاج لمثل هذه الحفلات الانفرادية. اريد ان اكون بين الناس، فوجودي وحدي يضايقني ويحزنني».

«حقاً، يا دايمون! انك تتصرف بطريقة غريبة منذ مغادرتنا الجزيرة!».

«ليست هناك اي مشكلة على الاطلاق».

قالها بلهجة مشجعة وهو يتظاهر بالابتسام. ثم اضاف:

«هيا يا بول، لننزل الى القاعة الرئيسية. هناك كثيرات من اللواتي تعرّفت عليهن في حياتي أسوأ من هذه الانسانة بمكان».

تنهّد بول وهو يشعر بالفشل مرة اخرى من اختراق ذلك القناع غير المرئي الذي يرتديه دايمون على وجهه. ثم توجّه الى غرفته وارتدى سترة، وزين عنقه بربطة جميلة، قبل ان يعود الى غرفة دايمون للنزول معاً الى بهو الفندق. كان المطعم يعجّ بالناس، الا ان السيدة الصينية كانت على ما يبدو ترقب وصولهما. فبمجرد دخولهما انضمّت اليهما مبتسمة وقالت:

«آه، سيد ثورن! اني في غاية السرور لأنك تمكنت من الحضور».

وما ان تمتم دايمون بجواب مهذب، حتى سارت امامهما الى ركن منعزل في القاعة الضخمة التي تنيرها اضواء ساطعة. وفيما كانوا يطلبون ما يريدون، اخذت تساي تتأمل دايمون بهدوء وتمعن. كانت تبدو عليها ملامح انقباض وعصبية لم يلحظها دايمون من قبل... كانت تتحدّث بشيء من القلق والترقب وكأنها تبحث عن شيء ما، او شخص ما. وسألته:

«هل تأتي كثيراً الى سان فرانسيسكو يا سيد ثورن؟».

هزّ دايمون كتفيه مرّة اخرى وأجابها بهدوء:

«هذا يعتمد على عدّة أمور. فعندما تكون لدي اعمال كثيرة اظل هنا احياناً عدة اسابيع، بينما في اوقات اخرى لا امضي سوى ليلة واحدة».

«وهل تذهب مراراً الى لندن؟».

ضاقت عيناه قليلاً وهو يحاول تحليل الاسباب التي تدفعها للاهتمام بتحركاته وتنقلاته، فيما لا تقبل ابداً الرد على اسئلة تتعلق بها شخصياً. ردّ عليها بدون ان ينظر اليها:

«امضي احياناً بعض الوقت في لندن».

تدخل بول وسألها:

«وماذا عنك انت؟ هل تنوين البقاء طويلاً في سان فرانسيسكو؟».

هزّت برأسها وهي تجيب بهدوء مصطنع:

«ربما، وربما لا. هذا يعتمد على ما اذا كانوا سيسمحون لي بذلك او يرفضون».

اجابها بول بشهامة كاذبة وهو ينظر اليها محاولاً اخفاء سخريته:

«انا متأكد من ان لا احد يمكنه الاعتراض على بقاء سيدة جميلة مثلك».

«اوه، شكراً لك يا سيد ريميني، فهذا كلام لطيف ومشجع. ولكني آسفة جداً لان المسؤولين في مكتب الهجرة لا يعيرون اي اهتمام للمظاهر والاشكال».

علّق دايمون ببرودة:

«يمكن للمظاهر ان تكون غشاشة جداً!».

أجابته تساي بن لونغ بجدية:

«انها العيون على ما اعتقد. اذ يمكن للانسان الذكي ان يكتشف عدة امور بمجرد النظر الى عيون الآخرين».

أخرج دايمون علبة سكائره وهو يقول لها:

«واذا كان الانسان أعمى، فماذا يفعل؟».

«انت لست اعمى يا سيد ثورن!».

فتح علبته وقدمها لها وهو يجيبها:

«صحيح. وهل قلت ذلك؟».

شربت جرعة من الشاي وهزّت برأسها، ثم اخذت سيكارة ووضعتها

بين اصابعها بعصبية.

ولما انتبه الى انها لا تزال تنتظر منه ان يشعل لها سيكارتها، اخرج قداحته بسرعة فوقعت من يده. نظر اليها وهو يعتذر منها، فشاهد مسحة من الرعب تعلو وجهها. كانت نظراتها تتركز على مكان ما وراءه، ولكنه عندما استدار بسرعة الى الوراء لم يشاهد شيئاً ملفتاً للنظر. تطلّع فيها مرة اخرى ثم نظر الى بول الذي بدا انه لم يلاحظ شيئاً على الاطلاق، اذ كان غارقاً في حديث عن كرة القدم مع رجل يجلس بجوارهم.

عبس دايمون ثم تذكر قداحته فانحنى لالتقاطها. اوقفته السيدة الصينية قائلة وهي تنحني لاستعادة القداحة:

«اسمح لي!».

تطلّع دايمون حوله مرة اخرى بعد ان اشعرته حاسته السادسة بوجود شخص يراقبه... او يراقبها. انه لأمر سخيف! ولكنّ شخصاً ما في هذا البحر من الرجال والنساء اخاف الفتاة. لماذا؟ من هناك في هذه المدينة يمكن له ان يخيفها ويرعبها على هذا النحو الواضح؟ وفجأة، سمعها تقول له وهي تهم بالوقوف:

«اعذرني! لن اتأخر لحظة! اريد الاطمئنان الى تسريحتي!».

وقف دايمون احتراماً ثم عاد الى الجلوس... والتفكير. ماذا يهمه منها ومما تفعله؟ سأل نفسه مغتاظاً وغاضباً، الا ان الجواب جاءه بسرعة وبدون تردد. فمع انه غير مهتم بها الا ان خوفها بدأ يقلقه ويزعجه. انها انسانة مستضعفة على ما يبدو، وهو بطبيعته يحترم الانسان. وقرر ان يدعوها الى العشاء، بمجرد عودتها، فلربما عندئذ ستخبره بما يرعبها ويقض مضجعها. اخذ سيكارة واراد اشعالها، الا انه لم يجد القداحة. اللعنة! لقد اخذتها تساي بن لونغ بعد ان تبرعت بالتقاطها عن الارض.

وتطلع حوله بعصبية بالغة محاولاً مرة اخرى تحليل تلك الفتاة الغامضة، وشخصيتها، ودوافعها. قداحته ذات قيمة كبيرة اهداه اياها والداه عندما احتفل ببلوغه سن النضوج... الحادية والعشرين. ومع انها قداحة ذهبية حفر عليها الحرف الاول من اسمه ورصع بالجواهر الثمينة، الا ان قيمتها المعنوية تفوق بكثير القيمة المادية. الم تكن تساي سوى لصة تستخدم اسلوباً جديداً في السرقة؟ وان كانت كذلك، فلماذا لم تحاول سرقته من

قبل؟

«بول، اشعل لي سيكارتي من فضلك!».

«اين رفيقتك الجميلة؟».

«في غرفة السيدات، على ما اعتقد».

«وماذا حدث لقداحتك؟ هل فرغت من الغاز؟».

هزّ دايمون رأسه، ثم اومأ الى نادل وطلب منه ابريقاً آخر من الشاي.

بدأ الغضب يتسلل بسرعة وقوة الى رأس دايمون وأعصابه ولم يعد يشعر برغبة في اجراء حديث عادي وثرثرة لا فائدة منها. وراح يتأمل وجوه السيدات عله يرى بينها وجه زائرته الغامضة. وعندما مرت ربع ساعة على غيابها، نظر الى بول غاضباً وقال:

«سأتمشى الى الخارج. سوف اعود بعد قليل».

«مهلاً يا دايمون! ماذا دهاك؟ لم اعرف انها تهمك الى هذه الدرجة!».

«انني لست مهتماً بها شخصياً. لقد اخذت قداحتي!».

«سأذهب معك».

«لا داعي لذلك».

«اعرف، ومع ذلك فسوف اذهب».

توجّها بسرعة الى بهو الفندق حيث توجد غرفة السيدات قرب الدرج الذي لم يعد يستخدم الا نادراً بسبب وجود المصاعد. وكان عدد كبير من السيدات يدخل تلك الغرفة ويخرج منها، الا انها لم يشاهدا تساي بن لونغ.

«انه لأمر مؤسف حقاً!».

قالها دايمون وهو يسيطر على غضبه بطريقة تثير الاعجاب، مع ان نبرة صوته كانت توحي بان هذه السيدة اللعينة لن تكون مسرورة ابداً اذا وقع نظره عليها مرة اخرى. عبس بول وقال بتأثر:

«لم يكن يظهر عليها ابداً انها من هذا النوع من النساء. كنت اظن انها انسانة محببة ودمثة».

وعاد دايمون الى التحليل وايجاد التفسيرات المنطقية، ثم احس بيد تربت بتهذيب على كتفه. التفت الى الوراء فشاهد مدير الفندق يبتسم ويقول له:

«عفواً سيد ثورن! اوصتني سيدة قبل قليل باعطائك هذه القداحة. انها لك، اليس كذلك؟».

ارتفع حاجباه استغراباً وقال له بدهشة وحيرة:

«نعم، انها لي. اين السيدة؟ هل تركت الفندق؟».

«اعتقد ذلك يا سيدي. اصرّت عليّ كي اتأكّد من تسليمك القداحة شخصياً والاعتذار لك عن ذهابها بتلك الطريقة!».

هزّ دايمون رأسه وقال له فيما كان يأخذ القداحة من يده:

«حسناً! شكراً، شكراً جزيلاً».

وفي وقت لاحق من تلك الليلة، وفيما كان مستلقياً على فراشه مغمض العينين استعداداً للنوم، عاد به التفكير مجدداً الى ايما. وانتبه الى ان حادثة المساء خففت الكثير من الضجر والملل اللذين سيطرا عليه فترة طويلة. وشعر بأنّ وجود تلك الفتاة الصينية الجميلة اثبت له مرة اخرى مدى تعلقه بايما.

كان يريدها كثيراً، ولم يتمكّن في السابق من ضبط مشاعره ورغباته تجاهها الا لعلمه بانه سيتزوجها... اما الآن فالوضع مختلف جداً... جداً! وقد وضعت نفسها، بذهابها الى سانت دومينيك، تحت رحمته ويتناول يده! لا يهمه ان جاءت موافقتها على الانتقال الى تلك الجزيرة نتيجة ضغوطه التي وصلت الى درجة الابتزاز والتهديد! او اذا كانت على استعداد للتضحية بنفسها لأجل شقيقها، فلماذا يهتم او يبالي؟

وتحوّل تفكيره فجأة الى تساي بن لونغ وسبب مغادرتها له على ذلك الشكل. لماذا؟ لماذا ذهبت فجأة ولم تعد؟ ولماذا اخذت القداحة واصرّت على ان تسلم اليه شخصياً؟ هل لهذه التصرفات الغريبة علاقة بانفعالها وخوفها في مستهل اللقاء؟ ام انها التقت شخصاً آخر تصورت انه سيمنحها سهرة اكثر متعة واشد اثارة؟ ولكن، ما اهمية كل ذلك الآن؟ التقت به... اخذت ولاعته... أعادتها... واختفت! هذا كل ما في الأمر، فلماذا لا يخلد الآن الى الراحة والنوم؟

الا ان النوم لا يأتي بمثل هذه السرعة، فعاد به تفكيره الى ايما والى لقائه الاول بها. فتاة في السابعة عشرة من عمرها، صغيرة وجميلة كما لا تزال حتى الان ولكن اكثر حيوية ونضارة. كانت موظفة جديدة في المقر الرئيسي

لشركة ثورن للكيماويات بشارع هولند بارك، وكان المبنى صغيراً جداً بالنسبة الى المجمع العملاق الذي انتقلت اليه الادارة في وقت لاحق، وعدد الموظفين قليلاً نسبياً. وبعد ظهر احد الايام، توجه الى المبنى القديم ليشرف على ما يقوم به احد البحاثة في حقل مستحضرات التجميل... وكاد ان يصدم بايما.

كانت هي المخطئة، واعترفت بذلك صراحة وبدون مواربة او تبرير. وابتسم دايمون عندما تذكّر مدى غضبه آنذاك، وكيف انها لم تخف منه بل طالبته... بالاعتذار. تذكر بوضوح تام فستانها الأحمر وسترتها القطنية البيضاء... ونظراتها التي كانت تقدح شرراً كقطة صغيرة يهاجمها كلب شرس. اعجبته شخصيتها وثقتها بنفسها، مع انه كان متأكداً من انها لم تعرفه... والاّ لما كانت تجرؤ على مواجهته بتلك الطريقة.

ظل يفكر بها طوال فترة ما بعد الظهر. وكشاب مراهق يقع في الحب للمرة الاولى في حياته، لم يتمكن من طرد صورتها من مخيلته طوال الايام التي تلت ذلك اللقاء العاصف. تأكد له ان عليه رؤيتها مرة ثانية. فاجرى تحقيقات سرية عنها وعن اوضاعها. تبين له ان شقيقها ايضاً يعمل في شركته، فسهلت الأمور بعض الشيء. استدعاه في اليوم التالي وقال له انه احد رجال الاعمال القلائل الذين يحبون التعرف شخصياً على جميع موظفيهم، وان عليه بالتالي ان يحضر وشقيقته لمقابلته وتناول العشاء معه في احدى غرف جناحه الضخم المخصصة لذلك. لم يفكر او يبالي بالنتائج او المضاعفات، فهو يريد ان يراها!

لم تكن ايما من الاشخاص الذين يسهل التعرف اليهم. فما ان عرفت من يكون، حتى بدأت تتهرب منه ومن الاجتماع به... وبخاصة على انفراد. ومع انه احس بانها معجبة به، الا انه كان يعرف ايضاً انها لن تثق به ولسوف تظلّ تعتبره زير نساء... وتتحاشاه. امضى عدة اشهر قبل ان يتمكن من اقناعها بعكس ذلك. ولما تأكد له انها اصبحت تحبه كما يحبها، وعقدا خطوبتهما تمهيداً لزواج قريب، هدمت له برجه العاجي وتركته يتخبط وحيداً وحزيناً.

لم يصدقها في بادىء الأمر! رفض ان يصدقها! كانت علاقتهما حميمة جداً مبنية على حب واحترام متبادلين، وكانا على وشك الزواج. رفض

التسرع لأن وضعه الاجتماعي لا يسمح له بان يبدو انساناً انفعالياً وارتجالياً. وكذلك اراد ان تتأقلم ايما الصغيرة الفقيرة مع عالمه الثري النافذ قبل ان تنضم اليه وتصبح جزءاً منه. كيف توقعت منه ان يقبل رفضها بيسر وسهولة؟ رفض ان يصدق بأنها جادّة.

ولكنها كانت جادّة... وتركته الى غير رجعة! وعاد الغضب اليه وهو يتقلب في سريره. الا انه اقنع نفسه اخيراً بان النقطة الايجابية الوحيدة في ذلك البحر من السلبيات كانت عدم اعلان الخطبة رسمياً... والا لكان جعل من نفسه اضحوكة لندن باكملها. لم يعرف بجدية علاقتهما سوى نفر قليل من اصدقائه الخلص. اما الآخرون فظنوا انها مجرد نهاية لمغامرة عاطفية اخرى. واكتشف ان ايما كانت ترد على مستجوبيها عندما يسألونها عن سبب الانفصال، بان دايمون نبذها بعد ان مل منها. وكانت تلك الاجابات ترضي غروره وكبرياءه الجريحين الغاضبين... ولكنها كانت تؤلم مشاعره وتثير اشمئزازه من نفسه...

ودفن نفسه تحت وسادته بقوة واصرار، مركزاً تفكيره على امور اخرى. امضى ليالي كثيرة جداً يعذب نفسه بسبب ايما... اما هذه الليلة فلن تكون كسابقاتها!

١٠- رمال العناق!

أمضى دايمون وبول الرحلة بين سان فرانسيسكو ونيويورك غارقين في العمل على أوراق ووثائق يجب اتمامها قبل وصولهما الى لندن. ولم يتمكّن دايمون بالتالي من قراءة الصحف التي ابتاعها في مطاري المدينتين الاميركيتين الا بعد اقلاع طائرتهما من مطار كينيدي في نيويورك. كانت عناوين صحف سان فرانسيسكو تتحدّث عن مقتل فتاة صينية بوحشية.

قطب جبينه بانقباض ووضع الصحف الأخرى جانباً ثم بدأ يقرأ الخبر بسرعة. تحدث النبأ بايجاز عن فتاة صينية لم تحدّد هويتها بعد، وجدت مقتولة طعناً بالسكاكين، واكتشفت جثتها الملقاة على احد الارصفة دورية لرجال الأمن. ومع ان الخبر لم يحدّد المكان ولم تكن هناك اي اشارة توحي بان القتيلة هي تساي بن لونغ، الا ان دايمون احس بشعور غريب اكّد له انها هي الضحية وان هذا كان سبب خوفها ورعبها.

اعطى دايمون الصحيفة الى بول وسأله فيما كان يشير الى الخبر:

«ما رأيك بهذا؟».

قرأ بول النبأ الذي تحدث عن مقتل الفتاة واختتم بسطر واحد يقول انها ثاني جريمة خلال اربعة ايام تستخدم فيها السكاكين، وان الضحية الاولى رجل في الاربعينات من عمره يحمل الجنسية البريطانية. كما ان السلطات المحلية تربط بين الجريمتين. ثم نظر الى دايمون باستغراب قائلاً:

«ماذا تعني؟ تساي بن لونغ؟ لا، لا. ستكون مصادفة غريبة جداً!».

«لا اعرف! كانت خائفة جداً الليلة الماضية. شعرت بذلك قبل اختفائها... ثم...».

www.liromancia.com

تنهّد قليلاً واضاف:

«اعتقد ان السيف سبق العذل. فحتى لو كانت تساي، لم يعد بامكاني القيام بأي شيء تجاهها».

أجابه بول بحدّة:

«هذا صحيح، واياك ان تخطر ببالك افكار مجنونة للعودة الى سان فرانسيسكو والتعرف على الجثة. اذا كانت تساي، فاننا لا نريد التورط في عملية البحث عن القتلة!».

في تلك الاثناء، كانت ايما مستلقية على الشاطيء قرب انابيل تتصفّح بكسل احدى المجلات الاسبوعية، فيما كانت الصغيرة تلعب بالرمال. كان يوماً رائعاً كالأيام التي سبقته؛ وكانت هناك مظلة كبيرة تقيهما حرّ الشمس ولهيبها. ولاحظت ايما ان الايام تمر بدون مصاعب ومشاكل، وها قد مضى على وجودها في سانت دومينيك شهران كاملان. ومنذ ذهاب دايمون والفتاتان تعملان على توثيق العلاقات بينهما وتقويتها. تتحدثان عن مواضيع مختلفة ومتعددة، ابرزها حياة انابيل منذ حادثتها. ولم تتمكن ايما، بالرغم من محاولاتها الجاهدة والمتعددة سبر أعماق الطفلة في فترة ما قبل الحادث. فكلما اثارت الموضوع، تجنبته انابيل بحزم واصرار وحولت انتباه ايما الى امور اخرى.

الا ان ايما كانت مصممة على اكتشاف ذلك الجانب الهام من حياة صديقتها الصغيرة، وبخاصة بعد ان لاحظت انابيل تبكي في غرفتها. رفضت انابيل التحدث عن السبب، مع ان ايما سمعتها تتمتم بكلمة امي مرات ومرات. ذهبت ايما الى تانزي لانها الشخص الوحيد الذي يعرف اليزابيت ثورن. وحصلت منها على صورة واضحة تقريباً عن زوجة دايمون الراحلة. قالت لها تانزي بقرف وهي تهز انفها:

«اوه، كانت مخلوقة انانية الى ابعد الحدود! لم تعر الطفلة اي اهتمام، ولم تمنحها دقيقة من وقتها الا عندما كانت تريد استخدامها كسيف لايذاء السيد ثورن».

«اين وقع الحادث يا تانزي؟».

ردّت عليها تانزي بشيء من التأثر والانفعال:

«في ايرلندا يا ابنتي. كان السيد دايمون يملك مكاناً رائعاً هناك، الا ان

السيدة اليزابيت لم تكن تحبه. كانت تقول دائماً ان ذلك المكان بارد جداً وخال من كل نشاط واثارة. واعتقد انه لم يكن هناك رجال لتسلي نفسها معهم».

اتسعت عينا ايما دهشة واستغراباً، ولما لاحظت تانزي ذلك تابعت روايتها قائلة:

«اوه، نعم، كان هناك الكثير من الرجال في حياتها».

ارتبكت ايما وقالت:

«اعتقد ان علينا...».

«اوه، لا تعتقدي ان الامر سر. كانت معلومات عامة يتداولها الجميع، وكان السيد دايمون على اطلاع تام بما يجري. انا لا اقول انه كان ملاكاً بريئاً، ولكنه لم يزعج نفسه بان يكون مخلصاً لفاسقة مثلها. ولماذا يجب ان يكون؟ تصوري انها رفضت رعاية الطفلة والاعتناء بها بعد ولادتها، وذهبت الى لندن... للترفيه والتسلية».

«هكذا اذن!».

وما ان استدارت لتخرج من المطبخ حتى اوقفتها تانزي قائلة:

«يعلم الله لماذا عادت الى ايرلندا، مسببة للسيد دايمون آلاماً وعذاباً بسبب الطفلة. كانت متوجهة الى دبلن عندما وقع الحادث... كانت دائماً مهملة في قيادة السيارات ووقعت لها عدّة حوادث سير صغيرة قبل الحادثة الكبيرة. في اي حال، قتلت في تلك الحادثة وشعر الكثيرون منا بالارتياح والسرور... لأجل السيد دايمون. لم تكن زوجة صالحة او انسانة طيبة. النتيجة المؤسفة الوحيدة هي اصابة انابيل ومعاناتها منذ ذلك الحين. ولكننا نقول الحمد لله، انها لا تزال حية ترزق، وانها ورثت الطباع الحميدة عن والدها ولم ترث اي شيء عن تلك الفاجرة التي تسميها امها».

هزّت ايما برأسها وقالت للسيدة العجوز:

«شكراً. شرحت لي الكثير من الأمور».

«عظيم. اتركيني الآن لأعود الى عملي. لدي عشاء للاعداد وقد داهمني الوقت».

وضعت ايما المجلة جانباً، وأمسكت بيد انابيل ثم سألتها بنعومة:

«انابيل، اخبريني عن ايرلندا».

تشنّجت الفتاة الصغيرة وسحبت يدها بقوة وسرعة وهي تجيب بشيء من العصبية:

«لا شيء اعرفه لأخبرك اياه. هل يمكننا ان نسبح الآن يا ايما؟».

«حبيبتي انابيل، يجب ان نتحدث في هذا الموضوع عاجلاً ام آجلاً، فلماذا لا نبحثه الآن!».

«لا اريد التحدث عن هذا الموضوع».

«انابيل، لا يمكنك الاحتفاظ بهذه القضية في داخلك الى الابد. لا بد لك من البوح بها يوماً ما، فلماذا لا يكون ذلك الآن؟ من المؤكد انك تذكرين جيداً بيتكم هناك. هل كان والدك يذهب مراراً لرؤيتك؟ من كان يعتني بك؟».

ظهر التمرد على وجه انابيل، ثم تنهدت وقالت بهدوء:

«نعم، كان والدي يحضر باستمرار... وتانزي تعتني بي... وهناك اولاد آخرون ألعب معهم... وكانت حياتنا رائعة».

«وأمك؟».

«اليزابيت؟».

«نعم».

«هي التي طلبت مني ان اناديها باسمها. لم تكن تحبني ان اناديها امي. قالت ان هذه التسمية تشعرها بانها اكبر من عمرها».

وابتسمت ايما بارتياح ظاهر. وأخيراً، بدأت انابيل تتحدّث... وبدون تردد او قيود. وقررت ان تشجعها على المضي في حديثها فسألتها:

«هل كنت تريدين منها ان تمضي معك فترة اطول؟».

وقفت انابيل وسألت ايما بهدوء متجاهلة كلامها وسؤالها:

«هل يمكننا ان نسبح الآن؟».

تنهدت ايما ووقفت بدورها وهي تقول:

«اعتقد ذلك».

أدركت انها ستحتاج الى اكثر من اسبوعين لحمل انابيل على ابلاغها الحقيقة الكاملة عما حدث. وبعد العشاء تلك الليلة ووضع انابيل في فراشها وانتظارها حتى تنام، ذهبت ايما في نزهة على طول الشاطىء. كان الطقس رائعاً والنسيم العليل ينسيها حر النهار. وفجأة تسمرت في مكانها

لحظة قبل ان تتذكر ان هذا الشيء الذي أفزعها هو منشفة البحر الكبيرة التي كانت تستعملها وأنابيل بعد ظهر ذلك اليوم.

وبعد ان حملتها وهمّت بمتابعة سيرها طرأت على رأسها فكرة أعجبتها. فلماذا الانتظار حتى عودتها الى البيت لتأخذ حماماً بارداً؟ لماذا لا تسبح الآن؟ الماء ليست باردة، وفكرة السباحة بمفردها في ضوء القمر لا بأس بها على الاطلاق. هذا الشاطىء بالذات مهجور دائماً، فالقرويون يستخدمون الجانب الآخر حيث ترسو القوارب والزوارق.

خلعت ثيابها ونزلت الى الماء. لم تسبح بعيداً مخافة الوقوع بمشاكل هي بغنى عنها في مثل وضعها الحالي. شعرت بالارتياح والرضى، حتى انها اقنعت نفسها بأنها قادرة في غياب دايمون على التخلص من وحدتها التي تشعر بها اثناء وجوده. خرجت من الماء بعد حوالى ربع ساعة ولفت نفسها بالمنشفة وبدأت تجفف جسمها المنتعش والمرتاح. وفجأة... سمعت صوتاً وحركة. شدّت المنشفة حولها بقوة وقالت بصوت مرتجف وهي تحدّق في الظلام:

«من القادم؟».

تقدم نحوها رجل طويل القامة عريض المنكبين، فصرخت بدهشة واستغراب شديدين:

«انت! متى وصلت؟».

هزّ دايمون كتفيه العريضتين واجابها بهدوء:

«قبل ربع ساعة. اخبرتني لويزا بمكان وجودك، وكانت قلقة بسبب تأخرك. قلت لها اني ذاهب لاحضارك».

شدّت ايما المنشفة بقوة فبدت على وجهه ملامح الانزعاج وسألها بانفعال:

«ماذا ترتدين تحت هذه المنشفة؟».

لم تجبه فصرخ قائلاً:

«بحق السماء يا ايما، من المؤكد انك لا تسبحين... هكذا، ووحدك ايضاً؟».

«ولمَ لا؟».

«لا، لا، لا تقولي ذلك!».

واقترب منها غاضباً وهو يقول:

«يمكن لأي شخص ان يباغتك وانت على هذه الحالة، هل تدركين ذلك؟ وما هي الفرصة التي ستكون لديك لو هاجمك احدهم وقرر اغتصابك؟».

تطلّعت به ايما وهي تحاول اخفاء عصبيتها وحدة مزاجها قائلة:

«لم يأت احد، سواك انت بالطبع!».

«وهل تثقين بي؟».

«وهل من سبب يدعوني الى عكس ذلك؟».

«نعم، اللعنة عليك، نعم!».

«لماذا؟ ماذا ستفعل؟ هل ستنتزع المنشفة عن جسمي؟ هل سيسرّك ذلك ويرفّه عنك؟».

كانت تتعمد اغضابه واثارة سخطه، اذ ان حنقه كان يثير في نفسها مشاعر استفزازية غريبة. ردّ عليها بجفاف:

«لا، ان مشاهدتك عارية لا يرفّه عني او يسلّيني».

أرغمت ايما نفسها على التذكر بانه يكرهها ويحتقرها، وبأن اي شيء يقوله لها يهدف الى ايذائها واذلالها اكثر من اي وقت مضى. استدارت بعيدة عنه وانحنت لتلتقط ثيابها. داست على احد اطراف المنشفة، فهوت امامه على الرمال. هبّت واقفة بسرعة وتمتمت حانقة:

«اعذرني الآن، يجب ان ارتدي ثيابي».

لم يتحرّك من مكانه بل مدّ يديه وامسك بها مانعاً اياها من الذهاب. ثم ابتسم بقسوة وسخرية قائلاً:

«لا، اني افضلك كما انت الآن».

بدأت دقات قلبها تتسارع وضغط الدم يرتفع، وحاولت بدون جدوى التخلص من قبضته. بدا انه يتمتع بجهودها الفاشلة، فزادت حدّة غضبها. ثم ضمّها نحوه بهدوء وقوة. ابعدت وجهها عنه وهي تحتج بكلمتين كادتا تعلقان بحلقها خوفاً وانقباضاً:

«اني مبتلة!».

شعرت بلهاثه الحار يقترب من عنقها وسمعته يقول بشغف ساخر:

«أمر مثير!».

«دايمون، ارجوك!».

سألها باستهزاء وهو يداعب كتفيها:

«ارجوك، ماذا؟».

«اتركني! دعني اذهب!».

«ولماذا أفعل ذلك؟ اذا كان يسرني او يسليني أن أكون معك، فلماذا لا أفعل ذلك؟ لاحظت منذ ذهابي أنك لا تزالين تجذبينني، فأنت مخلوقة جذابة للغاية».

رجته بصوت منخفض قائلة:

«دايمون، لا تكن هكذا!».

«لماذا؟ ماذا يمكنك ان تفعلي لمنعي؟ اذا تركتك الآن، فما من شيء سيمنعني من اخذك في يوم آخر. اليس كذلك؟».

استدارت ايما لتنظر اليه وهي غير قادرة على منع تلك الموجة من الحب التي اثارها فيها. لو لم تعرف قصة اليزابيت، لاعتبرت انها آذته اكثر مما كانت تتصور. وكانت ملامحه تعكس افكارها بوضوح تام، اذ سمعته يقول:

«رباه! لا تنظري الي هكذا!».

ثم افلتها من بين يديه واستدار نحو المنزل وهو يشعر بقرف واحتقار ذاتيين. وشعرت ايما بالحزن على افلاتها منه! لم تعد تهمها ماهية الاسباب التي تحمله على لمسها وضمّها. كل ما تعرفه في هذه اللحظات انها تحتاجه الآن اكثر من اي وقت مضى. والحب الذي شعرت به تجاهه عندما كانت في السابعة عشرة ازداد بدلاً من ان يموت، كما كانت تأمل وتتمنى. واليوم... انها امرأة... واصبحت تحبه وتريده... كامرأة.

«هيا، ارتدي ملابسك وعودي الى البيت».

«دايمون! دايمون!».

«لا تتحدثي معي».

«دايمون، لا تكن هكذا!».

«هكذا، كيف؟ لا تغشّي نفسك يا ايما! انا لم اتركك الآن شفقة عليك، ولكني تركتك لأن لا نية لدي لفقداني احترامي لنفسي بسبب فشاشة صغيرة مثلك!».

تراجعت ايما مذهولة الى الوراء وهي تضع يدها على فمها لتمنع نفسها من الصراخ... او ربما البكاء. علق على ذلك ساخراً:

«هل يؤذيك كلامي ومعناه؟ عظيم. كنت اخشى حصول سوء تفاهم بيننا».

«خشيتك لم تعد في محلها بعد الآن».

وحملت ثيابها ثم ركضت نحو المنزل بسرعة بدون ان تلتفت الى الوراء، او ان تنتظر لارتداء ملابسها.

١١ - تركتكَ لأجلك . . .

تبين لايما ان دايمون اتى بمفرده هذه المرة، ترك بول في لندن لمتابعة شؤون العمل وطار الى ناسو، ومنها الى سانت دومينيك مستخدماً الزورق بدلاً من الطائرة المروحية.

وعلى الرغم من خلافهما في الليلة الفائتة الا انها اكتشفت انه لن يهمل ابنته على الاطلاق. وكان حضور ايما، الذي اصرت عليه انابيل، امراً لم يرغب به اي من الراشدين الا انهما قبلا به مرغمين ارضاء للفتاة. ومع ان ايما احست بعذاب كبير عندما اتت الى الجزيرة، الا ان ذلك الألم لم يكن شيئاً يذكر بالنسبة الى ما تشعر به الآن. فقد ادركت ان دايمون نجح في مخططه الرامي الى معاقبتها على ما فعلت به في الماضي. وتصورت انه مسرور جداً بما يحققه من الحاق الأذية بها. واحتقرت نفسها لأنها تسمح بحدوث ذلك.

هل تحدثه عن والدة انابيل؟ الفكرة بحد ذاتها ليست امراً سهلاً او ممتعاً، ولكنها شعرت بأنها ضرورية جداً لمساعدة انابيل على الخروج من محنتها واسترجاع بصرها. وسنحت لها الفرصة بعد ظهر احد الأيام، عندما كانت انابيل نائمة ولويزا ذهبت الى ناسو لتمضية النهار بكامله. اما تانزي فلا تتدخل بشيء بل تمضي معظم وقتها في المطبخ حيث تعد الطعام وتخيط بعض الملبوسات لأطفال القرية الصغيرة.

كان دايمون يعمل في مكتبه والهدوء يعم البيت عندما حضرت ايما وطرقت بابه بهدوء ونعومة. ولما سمعته يطلب منها الدخول، دخلت واغلقت الباب وراءها. نظر اليها باستغراب وقال لها بلهجة التبرم

www.elromancia.com

والتململ:

«نعم؟».

«اريد ان احدثك عن انابيل».

«مرة اخرى؟».

«نعم، مرة اخرى. ولكني لا اريد التحدث عما يتعلق بك، بل عن الحادثة».

بدا الاهتمام والحذر على وجه دايمون وقال:

«نعم؟ وماذا عن الحادثة؟ من المؤكد انه لا يعنيك امره. فمهامك هنا تقتصر على رعاية انابيل عندما تكون بحاجة لرفيقة او شخص يعتني بها. كونك ممرضة لا يعني بالضرورة ان عليك الالمام بتفاصيل حادثتها».

«نعم، انا ممرضة واعتقد ان لي الحق في التحدث عن حادثتها مهما كانت طبيعة عملي هنا. اوه، انا اعرف انني لست سوى حاضنة ورفيقة لها. وادرك ايضاً انه ليست لمؤهلاتي اي علاقة بسبب احضارك لي الى هذه الجزيرة. ولكنني الآن هنا ولا انوي السماح لك ابداً بأن تعاملني كانسانة غبية. انا اعرف بعض الأمور عن الموضوع ولا اعتقد ان انابيل بحاجة الى عملية جراحية. لأني اظن بأن عماها ناجم عن مشكلة نفسية وليس بسبب تلك الحادثة بالذات».

وضع يديه وراء رأسه وقال لها بسخرية واضحة:

«اوه، حقاً؟ انت تعرفين ذلك بالتأكيد؟».

«انا لا اعرف ذلك بل اشعر به. دايمون، بحق السماء، اسمع ما اقوله لك! لا يمكن لأي طبيب ان يعمل بنجاح الا بناء على المعلومات الصحيحة التي تقدم او تتوفر له. وعليه، فإن كان الاطباء لا يعرفون حقائق علاقتك مع والدتها فلن تتكون لديهم ادنى فكرة عن قلق الطفلة ومشاكلها النفسية...».

هبّ دايمون واقفاً وسألها غاضباً:

«وماذا تعنين بهذا الكلام كله؟».

احمر وجه ايما واجابته بهدوء وثقة بالنفس:

«انت تعرف جيداً ماذا اعني».

«حقاً! ومن يزودك بمعلومات عن علاقتي بزوجتي الراحلة؟ اعتقد انها

تانزي، العجوز الثرثارة!».

«لم تتفوه تانزي بكلمة واحدة ضدك. انها لم تقل اي شيء على الاطلاق يسيء الى طبيعتك الطيبة!».

«وافترض ان الهدف من هذا الاطراء هو استرضائي!».

ولمعت عيناه ببريق الغضب ثم قال لها:

«لماذا لا تهتمين بأمورك وشؤونك الخاصة فقط؟».

«انابيل هي اموري وشؤوني! فاذا كانت علاقتك الزوجية السابقة تنعكس سلباً على مشكلتها، فإني اعتقد ان من حقي القيام بأي محاولة لمساعدتها على استعادة بصرها».

«لم يكن بالامكان ان تكون علاقتي الزوجية، كما تسمينها، اسوأ مما كانت عليه. هل هذا يجيب على سؤالك؟».

«اذن، فلماذا...؟».

وخنقت بقية السؤال في حلقها. ولكنه حدق بها وكأنه ادرك طبيعة السؤال، وقال:

«لماذا تزوجتها؟ اهذا ما كنت ترغبين في معرفته؟».

«هل ملامح وجهي شفافة الى هذه الدرجة؟».

«بالنسبة الي، وفي بعض الأمور، نعم».

رفعت رأسها نحوه وقالت:

«اذن...؟».

ثم تنهدت واضافت:

«انك لم تجد اي صعوبة تذكر لنسياني يا دايمون. انك تحملني على البقاء هنا للتكفير عما تعتبره ذنبي في رفضي الزواج منك. ولكنني حسبما ارى فإن قلبك لم يتأثر على الاطلاق!».

تمتم دايمون وهو يكاد يطحن اسنانه غيظاً:

«احببتك جداً يا ايما!».

ردت عليه بلهجة غلبت عليها القسوة والمرارة:

«هل احببتني حقاً؟ ام انني طعنت كبرياءك في الصميم؟ لم تصدق ان اي شخص بامكانه ان يصد دايمون ثورن ويرفضه!».

امسك بكتفيها بقسوة بالغة احست معها وكأن اصابعه غرزت في مكانها

ووصلت حتى العظام. وصرخ بها بعصبية عنيفة قائلاً:

«هذه قحة لا اقبلها منك ابداً!».

ثم هزها بقوة وقال لها والنار تكاد تخرج من عينيه:

«قلت انني احبيتك، وهذه هي الحقيقة. كنت الامرأة الوحيدة التي احببتها في حياتي او اردت الزواج منها».

نظرت اليه وهي لا تصدق ما سمعته اذناها، وقالت متلعثمة:

«ولكنك تزوجت اليزابيت! بعد عشرة اسابيع فقط...».

ولم تتمكن من انهاء جملتها، فقال لها:

«نعم، تزوجت اليزابيت، هل انكرت ذلك؟».

«لا. ولكن... ولكن... انابيل...».

قاطعها دايمون باحتقار قائلاً لها بقسوة:

«لا تكوني حمقاء وغبية! كانت زوجتي، وتشاطرني السرير ذاته!».

«اوه، دايمون!».

وشعرت بألم يحز في قلبها. فهمت اخيراً لماذا تزوج اليزابيت. كان متألماً، متألماً جداً، لدرجة انه اقدم على ما اقدم عليه غير عابىء بالنتائج او المضاعفات. وسمعته يقول لها ببرودة:

«لا تشعري بأي شفقة نحوي. كنت اعرف تماماً ماذا افعل».

«انا آسفة يا دايمون، آسفة جداً!».

«هل انت حقاً آسفة؟ يا للعاطفة الجياشة!».

ثم اضاف بسخرية لاذعة:

«ربما ترين فيّ الآن شخصاً يرعاك ويؤمن لك مستقبلاً زاهراً وحياة رغيدة، وهو امر لم يكن يبدو لك بمثل هذه الأهمية قبل سبع سنوات!».

اتسعت عيناها دهشة وحنقاً وشعرت بأنها لم تعد قادرة على تحمل المزيد. رفعت يدها وصفعته بقوة على وجهه ثم استدارت بسرعة نحو الباب. سبقها وسد الباب بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين، وشاهدت في عينيه السوداوين نظرات غاضبة توحي بالشر والخطر.

«لا احد يصفعني هكذا ويذهب بدون عقاب!».

وشدها نحوه بقوة وهو يتمتم:

«اوه، ايما! اني اريدك! اريدك!».

حاولت التملص منه فلم تفلح. ارادت تجاهل عناقه وعدم الاستجابة له... ففشلت لا بل وجدت نفسها تطوق عنقه بذراعيها وتبادله العناق. لم يكن عناقه كالمرة السابقة عندما كان هدفه الوحيد ايلامها واذلالها. كان هذه المرة على ما يبدو نابعاً من القلب ومن عاطفة جامحة... وتمنت ايما الا يتوقف. وبعد لحظات انتبه لنفسه وفرضت عليه حشمته ان يتوقف. ولكن ايما لم تتركه... وارغمته رغباته على عدم المقاومة.

وفجأة، وبدون سابق انذار، فتح الباب ودخل كريستوفر ثورن. انتبهت ايما لنفسها على الفور وابعدت رأسها عن دايمون. الا ان الرجل تردد بعض الشيء في افلاتها. تنحنح كريس الذي تسمر في مكانه مشدوهاً وقال:

«أوه! يبدو انني تصرفت بغباء ورعونة، اليس كذلك؟ كان عليك يا ابن عمي ان تعلق لافتة على باب المكتب تقول... ممنوع الدخول، او بالاحرى... ممنوع الازعاج!».

«سأطلب من تانزي اعداد ابريق من القهوة».

ولما خرج من الغرفة نظر كريس بشيء من الاعجاب الى ايما، التي كانت تهتم بشعرها وفستانها وهي تشعر بخجل رهيب. وقال لها بوداعة مزعجة:

«اهدأي يا صغيرتي، فأنا اعرف تماماً بما تشعرين».

ثم ابتسم واضاف:

«لا عجب ان يغضب الى تلك الدرجة عندما ابقيتك ليلة في ناسو!».

عاد دايمون وسأل كريس:

«ما الذي حملك على المجيء في مثل هذا الوقت؟».

هز كريس كتفيه واجاب:

«لا شيء محدداً. لم نرك كثيراً منذ مجيئك الى البهاما، واقترحت هيلين ان ندعوك لتناول العشاء معنا هذه الليلة».

«شكراً، ولكني لن اتمكن من قبول الدعوة. لدي عدد كبير من الرسائل والمذكرات التي يجب الانتهاء منها، وانوي تخصيص هذه السهرة لانجاز اكبر كمية ممكنة».

تعمد كريس النظر الى ايما وهو يقول:

«حقاً؟».

رد عليه دايمون بهدوء:

«كريس، ارجوك، دع المزاح جانباً!».

ابتسم كريس وقال:

«لماذا؟ فهذا كل ما يمكن لرجل مثلك ان يفعل في ظروف كهذه. في اي حال، ان كنت منشغلاً الى هذه الدرجة، فما رأيك ان تدع ايما تأتي معي؟ سأتأكد من اعادتها بسلام وبدون ازعاج».

رد عليه دايمون قبل ان تسنح لايما فرصة الاجابة بنفسها:

«لا اعتقد ذلك».

احضرت تانزي القهوة فأخذ كل منهم فنجانه شاكراً. وشعرت ايما وهي تشرب قهوتها بأنها سعيدة لأن دايمون قرر رفض الدعوة بالنيابة عنها.

ثم سمعت كريس يقول:

«حسناً، حسناً. هذا يعني انني قمت برحلة طويلة كهذه بدون جدوى».

«آسف يا كريس. وارجو من الآن فصاعداً الا تقتحم غرفة مكتبي على هذا النحو!».

«اعدك بذلك».

ثم التفت نحو ايما وقال لها ساخراً:

«الن تأتي لوداعي يا ايما؟».

اومأت برأسها علامة النفي فوجه اليها كريس ابتسامة توحي بأنه يتقبل الهزيمة بشموخ وكبرياء، ثم حياهما وغادر الغرفة مسرعاً. وبعد ذهابه، انهت ايما قهوتها وقالت:

«سوف تستيقظ انابيل قريباً. سأذهب لأكون بقربها».

وقف دايمون وقال لها بهدوء بدون ان يلمسها:

«حسناً».

ثم استوقفها قائلاً:

«اعتقد ان علي الاعتذار لك انت ايضاً، اليس كذلك؟».

هزت رأسها بالنفي، فقال لها:

«ماذا تعنين برفضك هذا؟ انك تعرفين حق المعرفة انه لولا وصول

كريس بتلك الطريقة المفاجئة... لما كان بامكاني ردع نفسي ومشاعري، واظن الى حد ما انك كنت تمرين في حالة شغف مماثلة».

احمرت وجنتاها خجلاً وحياء، فما كان منه الا ان مضى الى القول:

«انا عادة لا افقد السيطرة على نفسي. حتى اني، عندما كنا... معاً... قبلاً، لم اسمح بوصولنا الى هذا الحد. ولكنني اعتقد انني لم اهتم كثيراً هذه المرة بمشاعرك او احاسيسك. تصرفت معك كالحيوان! اني احتقر نفسي! كنت اعتقد انني سأؤذيك بهذه الطريقة، ولكني كنت مخطئاً».

«لا تلم نفسك، فأنا التي كنت اسعى اليها. تصرفت كفتيات الشارع، وكنت اريدك الا تتوقف!».

«كيف يمكنني تصديق ذلك؟ كانت لديك مرة فرصة ذهبية ولكنك قررت ان تخذليني وترفضيني!»

ردت عليه بحزن وأسى:

«رفضتك بسببك ولأجلك! لأجلك انت فقط!».

قطب جبينه استغراباً وسألها:

«بسببي أنا؟ لأجلي انا؟ ما هذه القصة التي تختلقينها الآن؟».

«انها ليست قصة مختلقة. انها الحقيقة».

وادارت وجهها بعيداً عنه وهي تقول:

«اوه، ما الفائدة؟ انك لن تصدقني ابداً!».

«حاولي! جربيني!».

«يصعب جداً شرح ما حدث. فالمسألة تبدو الآن سخيفة وواهية جداً، في حين كانت تبدو آنذاك اهم شيء في العالم».

«تابعي!».

تنهدت ايما وهي تبحث في رأسها عن الكلمات المناسبة لايضاح تصرفاتها معه قبل سبعة اعوام، وسألته بهدوء:

«هل تذكر حفلة العشاء التي اقمتها مرة للورد والليدي ماسترهام؟».

«اني اتذكرهما، مع انني لا اذكر اي حفلة عشاء معينة حضراها. ولكن هذا ليس مهماً. المهم هو ما حدث بالنسبة اليك».

«بعد العشاء مباشرة، اخذتني الليدي ماسترهام الى الشرفة وبدأت حديثها عن مدى ذكائك، ونجاحك في عملك، واهمية حصول رجل في

مركزك على زوجة مناسبة وملائمة. قالت انك شجاع جداً لأنك متورط مع فتاة فقيرة وتعيسة مثلي ليست جديرة بأن تكون خادمة لك. وصفت مشاعري تجاهك بأنها ابتزاز وسعي وراء المال والشهرة، وقالت انها تأمل في الا تسيء علاقتك بي الى مركزك ومكانتك وعملك».

وهزت ايما رأسها بأسى ومضت الى القول:

«يمكنك تخيل بقية الحديث، اليس كذلك؟ وبالمناسبة، فإن الليدي ماسترهام لم تكن الوحيدة على الاطلاق. فجميع من كنت تعتبرهم اصدقاءك قالوا لي ان وجودي معك سيفسد حياتك... سيدمر كل شيء عملت جاهداً لانجازه وتحقيقه. كنت اعرف انك لن تصدق هذه الأقاويل مطلقاً... واعرف اننا نحب بعضنا ونثق ببعضنا. ولكني كنت صغيرة وكنت اخشى ان يكون كلامهم صحيحاً. احببتك كثيراً ولم ارغب في الحاق اي اساءة او اذية بك، فتظاهرت بوجود رجل آخر. كنت اعرف بأنني لو اخبرتك الحقيقة لما قبلت بالتخلي عني، ففضلت الاقدام على ما اقدمت عليه. فضلت التضحية بحبنا من اجل مصلحتك ومركزك الاجتماعي والتجاري. ولكنك عندما تزوجت اليزابيت كينغزفورد خلال فترة وجيزة جداً ورزقت بطفلة، شعرت بأنني افضل الموت على الحياة!».

ونظرت اليه بحذر خائفة من رؤية نظرات الاستهزاء وعدم الاقتناع في عينيه. ولكنه كان واقفاً بدون حراك وهو يستمع اليها بدهشة وحيرة لا تصدقان. وسألها بصوت قاس:

«هل هذه هي الحقيقة؟ انها ليست رواية مختلقة؟».

هزت ايما برأسها حزينة ومتألمة، وقالت:

«انها الحقيقة يا دايمون! الحقيقة المجردة!».

امسك بيدها وقال لها بحدة:

«كنت مجنونة يا ايما، مجنونة! هل اعتقدت آنذاك انني كنت سأعير اهتماماً لما يقوله اي انسان عنا؟».

«هذا ما قلته لك بنفسي! كنت اعرف بأنك لن تهتم بما يقولون. ولهذا السبب وحده اضطررت للكذب، والا لما كنت تركتني او تخليت عني».

«مؤكد، مؤكد! ولكن لماذا انتظرت حتى الآن لتخبريني بذلك؟».

«اعتقد انني لم اكن قادرة على مشاهدتك وانت تعذب نفسك،

وتعذبني، اكثر مما تعذبنا. كان عليك ان تعرف الحقيقة».

هز دايمون رأسه بحزن قائلاً:

«اوه، ايما، كم كنت غبية، تهدرين تلك السنوات كلها!».

«لا يا دايمون، انها لم تذهب هدراً! اني اعلم تماماً ان كبريائي لن يسمح لي بأن ادعك تفكر طوال العمر بانني مخلوقة انانية ورعناء، وتستحق كرهك وحقدك واحتقارك. ولكن الوضع لم يتغير كثيراً عن السابق. كل ما في الأمر اننا كبرنا سبع سنوات. ولكني لا ازال نكرة معدمة وانت لا تزال رئيس مجلس الادارة - المدير العام لمؤسسة ثورن للكيماويات».

ضغط بيده على كتفها حتى اوجعها وسألها بحدة:

«وماذا علي ان افهم من ملاحظتك هذه؟».

«ما قلته لك تماماً. الوضع لم يختلف. لم اتمكن من الزواج منك في المرة السابقة، ولن اتمكن من الزواج منك الآن... والسبب واحد!».

عبس دايمون وهو غير مصدق ما يسمع، ثم قال لها بحدة:

«كيف ترفضين امراً لم يعرض عليك او يقدم لك؟ مهما كان الأمر، فهل يمكنني معرفة السبب؟».

ردت عليه بتبرم واضح:

«انت تعرف السبب. اليزابيت لم تكن مثلي. كانت ثرية وذات مكانة اجتماعية. كان زواجك منها على الأقل يناسب وضعك ومكانتك».

ضرب يده على الجدار بعنف وهو يقول لها:

«انظري كم كان ناجحاً ذلك الزواج! عشنا معاً ثلاثة اشهر فقط... الفترة الباقية بأكملها كانت جحيماً!».

«ربما كانت شخصاً غير مناسب لك. فكما فهمت من تانزي، كنتما نقيضين وضدين!».

«وماذا تقترحين علي ان افعل الآن؟ اجد امرأة يمكنني العيش معها وادعك انت وتانزي تدرسانها وتحللان شخصيتها ثم تقولان لي ما اذا كانت تناسبني ام لا!».

«هل تفكر بالزواج مرة اخرى؟».

اجابها بسخرية وهو يرغب في ايلامها مرة اخرى:

«ربما فعلت ذلك».

«اوه، دايمون!».

وبكت... ثم خرجت مسرعة من تلك الغرفة، كما فعلت في المرة السابقة.

١٢ - التحدي الجميل!

حمل اليها صباح اليوم التالي رسالة من شقيقها. كانت أطول من الرسائل المقتضبة التي اعتاد ان يبعثها لها. وبدأت ايما تقرأ الرسالة بسرور بالغ لأنها ستبعد تفكيرها، ولو مؤقتاً، عن دايمون ونتيجة ذلك اللقاء العاصف بينهما.

الا انه تبين لها عندما انهت قراءة الرسالة ان سبب طولها اناني بحت. فأخوها يواجه مشكلة اخرى وهو بحاجة الى بعض المال...

لم تعرف ماذا تفعل. ليس صعباً عليها ان تتصل بمصرفها في لندن وتطلب منه تحويل المبلغ لجوني ليسد به احتياجاته. ولكنها ماذا ستفعل بعدئذ؟ فالمبلغ الذي وفرته اثناء عملها في المستشفى، بعد انفاق الجزء الأكبر من مرتبها على الطعام والثياب لها ولشقيقها، على وشك ان ينضب. كان جوني يستدين منها باستمرار وبدون اهتمام او شفقة. ولم يكن يساهم كثيراً بنفقاتها المشتركة. واذا كان عليها الآن ان تسد جميع ديون القمار المترتبة عليه، فإنه لن يبقى لديها اي شيء على الاطلاق. وتمنت لو ان هناك شخصاً تلجأ اليه وتبحث معه مشكلتها ومصاعبها. ولكن ليس لديها احد. انها لا تريد مفاتحة دايمون بالأمر، مع انه سيساعدها بطريقة او باخرى على الرغم من احتقاره لجوني.

وفي وقت لاحق من اليوم ذاته اتصل بول هاتفياً من لندن. كان دايمون مستلقياً وانابيل قرب بركة السباحة عندما ابلغته بأن بول يريد التحدث معه. ولأنه تصور بأن الحديث سيدور حول امور تتعلق بالشركة، فقد صعق عندما سمع بول يقول له:

www.elromancia.com

«اقتحم اشخاص شقتك الليلة الماضية!».

«الشقة؟ وماذا كان باينز يفعل آنذاك؟».

«ضربوه وقيدوه. يبدو انها كانت عملية اقتحام سريعة».

«رباه! قل لي يا بول! ماذا اخذوا من البيت؟ اللوحات الفنية؟».

«لا شيء على الاطلاق، وهذا وجه الغرابة في العملية. قلبوا المكان رأساً على عقب، ولكن هذا هو كل ما في الأمر. اعتقد انهم كانوا يبحثون عن شيء ما!».

قطب دايمون حاجبيه بعصبية وراح يفكر بما حدث ويحاول تحليل القضية واسبابها. ويبدو انه ظل صامتاً فترة طويلة مما دفع بول لأن يسأل:

«هل ما زلت معي؟».

«طبعاً، طبعاً! كنت احاول تحليل الموضوع ولكني لم اصل الى اي نتيجة معقولة. هل توصلت انت الى اي نتيجة؟».

«بالتأكيد لا! اسمع يا ديمون، اني احدثك الآن من الشقة. رجال الشرطة موجودون هنا بالطبع. طلبتهم بمجرد ان وجدت باينز».

«انت الذي وجدت باينز؟».

«نعم. حاولت الاتصال مرات عديدة هذا الصباح فلم يجب. اتيت الى الشقة وفتحت بابها بالمفتاح الذي تركته معي. صعقت عندما وجدت باينز على تلك الحالة. فقد كمية كبيرة من دمه ولكن الاطباء اعطوه كمية بديلة وقالوا انهم يتوقعون نجاته».

« اشكر الله العلي القدير. مسكين باينز! كيف دخلوا الشقة يا بول؟».

«اعتقد انه فتح الباب لهم. لم تكن هناك اي دلائل على حدوث عراك، كما ان جميع النوافذ كانت لا تزال مقفلة بصورة طبيعية».

«لماذا تأخرت حتى الآن لابلاغي بما حدث؟».

«اوه، انت تعرف! الاتصال بقسم الطوارىء في المستشفى وبمركز الشرطة، وصول المسعفين ورجال الشرطة، اسئلة واجوبة، وكذلك انتظار المكالمة معك! في اي حال، هل تريدني ان اقوم بأي شيء آخر؟ سأعمل بالتأكيد على اعادة الشقة الى وضعها الطبيعي. ولكن، ماذا بعد ذلك؟».

هز دايمون كتفيه وقال:

«لا اعرف. اعتقد ان بامكانك البقاء في الشقة، ان كنت تريد ذلك».

وضحك ثم اضاف قائلاً:

«لا تعتقد اني اريدك ان تتعرض للضرب او الأذية يا بول. ولكن اذا كانوا قد قلبوا الشقة رأساً على عقب، فمن المنطقي حسبما اتصور انها ستكون آمنة اكثر من اي مكان آخر في لندن. هل تفهم ما اقول؟».

ذهل بول، الذي تقع شقته قرب شقة دايمون، وقال:

«هل تعتقد انهم قد يحاولون اقتحام مسكني كذلك؟».

«من يدري؟ اننا لا نعرف عما يبحثون. ولكن اذا كان هذا الشيء يتعلق بالشركة، فانهم بالتأكيد يعرفون انك مساعدي الخاص. ومن يدري ماذا سيفعلون!».

«حسناً، حسناً. لقد اقنعتني. سأنام في شقتك واترك جهاز الانذار متصلاً بمركز الشرطة ليلاً ونهاراً. يمكنك ان تصفني بالجبن اذا اردت، ولكني لن اقدم على أي مجازفة».

«احسنت!».

ثم تنهد واضاف:

«لا تقلق كثيراً! سأراك ان شاء الله خلال ايام قليلة».

وبعد انتهاء المكالمة، عاد التوتر الى اعصاب دايمون. فمن يا ترى يريد اقتحام شقته والعبث بمحتوياتها على الصورة التي تمت بها العملية؟ ولماذا لم يهتم المهاجمون مثلاً بسلب شيء، وخاصة اللوحات الفنية النادرة التي تشكل بحد ذاتها ثروة طائلة؟ التفسير الوحيد هو ان المهاجمين كانوا ينفذون اوامر صارمة من شخص اخر فرض عليهم عدم اخذ شيء الا الذي كانوا يبحثون عنه! ولكن السؤال المحير يبقى هو ذاته... عن اي شيء كانوا يفتشون؟

احست انابيل بعودته، فسألته بلهفة:

«هل من مشكلة يا أبي؟».

حدق بهدا دايمون غير مصدق سؤالها. يا للذكاء! انها تملك حاسة قوية وغريبة توحي لها بانه متضايق ومنقبض النفس! اضطر للكذب لأنه لا يريد ازعاجها، فقال:

«لماذا يا حبيبتي؟ لا شيء على الاطلاق! لنسبح قليلاً الآن لأن لدي بعض الأعمال التي يجب اتمامها».

ومن ناحيتها، امضت ايما يومها قلقة بشأن جوني. . . وبسبب وضعها هي الصعب في الجزيرة. لم تلتق دايمون طوال النهار. تجنبت بركة السباحة عندما علمت انه هناك مع ابنته. كذلك فإن الطقس لم يكن مشجعاً. فالجو حار والغيوم السوداء بدأت تنشر في الافق منذرة بحدوث عاصفة. الا ان العاصفة لم تحدث، مع ان ايما تمنت العكس. فالعاصفة على الأقل توفر لها موضوعاً جديداً تفكر به.

حل اليوم التالي كئيباً ومزعجاً. فالغيوم السوداء التي تكاثرت في اليوم السابق تحجب ضوء الشمس بكثافة. وشعرت ايما بالوحدة والانقباض. ذهبت لويزا الى ناسو بعد الفطور مباشرة لتمضية عطلتها الاسبوعية في تسوّق بعض الحاجيات والاغراض. وكانت قد دعت ايما لمرافقتها، الا ان ايما فضلت البقاء في الجزيرة متحججة بالطقس الرديء والصداع الذي تشعر به. ولكنها ندمت على ذلك في وقت لاحق، لأن انابيل تمضي وقتها بكامله مع والدها.

الا ان دايمون ابلغ ابنته بعد الفطور بأن عليه اجراء بعض الاتصالات الهاتفية ذلك الصباح. فما كان منها الا ان ذهبت الى ايما وتوجهتا معاً بعد ذلك الى الشاطىء. وخلال وجودهما هناك، قرأت ايما بضع قصص قصيرة لأنابيل، التي قالت لها بعد بعض الوقت:

«كفانا قراءة قصص اليوم يا ايما. حدثيني عن ايام طفولتك، هل كان لك والد ووالدة؟ اشقاء وشقيقات؟».

تنهدت ايما واغلقت الكتاب ثم اجابتها بهدوء وتمهل:

«نعم يا حبيبتي. كان لي والدان، الا انه ليس لدي الا شقيق واحد. كنا اربعة فقط، ولكننا كنا سعداء جداً. لم تكن لدينا اموال طائلة كما هي الحال مع والدك، الا ان ذلك لم يكن يؤثر علينا كثيراً. كنا نتمكن من تمضية عطلة سنوية في مصيف ساحلي، وكانت تلك الرحلة الوحيدة التي كنا نقوم بها».

وسألتها انابيل، التي بدا انها استوعبت جميع المعلومات بسهولة ويسر:

«هل كان بيتكم كبيراً؟».

«اوه، لا! كانت هناك ثلاث غرف نوم وحمام واحد، بالاضافة الى غرفتين اخريين ومطبخ في الطابق الأرضي».

«فقط؟».

قالتها انابيل باستغراب واضح فهي لا تعرف سوى الفيللات الضخمة والبيوت الريفية التي تشبه القصور بحجمها ومساحتها.

«نعم يا حبيبتي، وهو حجم لا تتوصل اليه معظم العائلات المتوسطة الحال. انت فتاة محظوظة جداً لأن لديك قصراً جميلاً كهذا مع ما حوله من حدائق وبركة سباحة وشواطىء رائعة. . . وأي شيء اخر تشتهينه وترغبين في الحصول عليه».

«انني لست محظوظة على الاطلاق. انني بالطبع احب والدي، وانا متأكدة من انه يبادلني هذا الحب. ولكني مستعدة للتخلي عن كل شيء في العالم ليكون لدي بيت حقيقي فيه والدان يحبان بعضهما واخوة واخوات صغار يركضون ويلعبون».

ثم ضمت ركبتيها بذراعيها وقالت:

«اوه، اني احب كثيراً وجود اعداد كبيرة من الأولاد في البيت. كما احب وجود اطفال ارعاهم واهتم بهم، عوضاً عن اضطراري للاكتفاء بلعبتي باتريشيا!».

«يحدث احياناً ان شخصين يتزوجان ثم يشعران بعد فترة من الزمن انهما غير قادرين على العيش معاً. انه ليس خطأ اي منهما، كما انه ليس خطأ اي شخص اخر. انهما بكل بساطة لا يتمكنان من مواصلة العيش معاً. واذا انفصلا عن بعضهما بعد ان يكونا قد رزقا اولاداً، فإن ذلك سيؤثر كثيراً على الأولاد. وهذا فعلاً امر مؤسف للغاية!».

علقت انابيل باستغراب وتأثر واضحين وقد انهمرت الدموع من عينيها:

«ولكن يتحتم على هذين الزوجين الا يرزقا اطفالاً على الاطلاق!».

«ليس الاطفال دائماً. . .».

وبحثت ايما في عقلها عن الكلمات المناسبة لتصف المسألة بطريقة سهلة وغير معقدة. ترددت بعض الشيء ثم قالت بعزم وثبات:

«انابيل، حاولي ان تفهمي الوضع على حقيقته. لم يكتشف والداك خطأهما الا بعد ولادتك!».

وعضت شفتها تأثراً ثم اضافت:

«يجب ان تكوني ممتنة لأن احد والديك على الأقل يحبك حتى العبادة».

اخفت انابيل وجهها بين يديها فجأة وقالت باكية بحزن وتأثر بالغين:

«اوه، ايما! كنت انوي الحاق الأذى بوالدي. لقد احبني دائماً، ولكني كنت سأغادر البيت... كنت سأتركه الى الأبد».

قطبت ايما جبينها ووضعت يدها برفق وحنان على رأس انابيل وهي تسألها بهدوء:

«تتركينه؟ ماذا تقولين يا انابيل؟».

رفعت الطفلة الصغيرة وجهها المبتل بالدموع الحارة وقالت بتلعثم:

«انك لا تفهمين الوضع... يا ايما! كان ذلك عندما... عندما... عندما وقع الحادث!».

واخفت وجهها مجدداً بين يديها. ازداد تأثر ايما واستغرابها، فقالت لها:

«اكملي! اخبريني المزيد!».

«لا اقدر! لا اقدر! انني اخجل من نفسي الى درجة كبيرة!».

ضمتها ايما بمحبة وحنان قائلة:

«اسمعي يا حبيبتي! انت تتحدثين مع ايما! يمكنك ان تخبريني اي شيء تريدين، فلن اغضب او اصدم! اخبريني ماذا حدث، ارجوك!».

رفعت انابيل رأسها وسألتها بهدوء:

«هل تعدين بذلك؟».

«طبعاً، طبعاً».

مسحت انابيل وجهها بيديها وقالت:

«حسناً، اذن».

ثم تنهدت وبدأت تروي قصتها:

«أنت امي ذلك اليوم الذي وقع فيه الحادث، ولم اكن قد شاهدتها منذ عدة اشهر كما اني لم التق والدي منذ بضعة اسابيع. قالت... قالت لي ان ابي منعها من رؤيتي، وانه... لا يحبني كما يقول والا لما كان قد تركني هكذا. قالت انها تحبني، وتريد ان تأخذني معها حيث سنعيش سوية في لندن. رفضت ذلك وقلت لها لن اترك ابي. ولكنها قالت انني غبية وسخيفة».

غضبت ايما وتأثرت لأن اساليب اليزابيت في اقناع طفلة لم تتجاوز

الرابعة من عمرها كانت قاسية وتدل على انعدام المحبة والعاطفة.

وسمعت انابيل تبلع ريقها وتلتقط انفاسها ثم تمضي في رواية ما حدث معها قائلة:

«عندما لاحظت اصراري على البقاء، حاولت معي طريقة اخرى وهي انها ستعطيني ما اريد ان ذهبت معها».

وشاهدت ايما شفتي انابيل ترتجفان وهي تتابع حديثها:

«كنت لعدة اشهر اطلب من والدي ان يشتري لي مهراً اصيلاً، وكان يقول لي دائماً انني صغيرة جداً وركوب الخيل في تلك السن خطر جداً. ولما قالت لي اليزابيت انها ستعطيني ما اريد، سألتها ان كان بامكانها ان تشتري لي مهراً. أجابتني بأنها ستشتري مهرين، اذا وافقت على الذهاب معها. قبلت عرضها المغري واستأذنتها لتوضيب اغراضي. رفضت ذلك وقالت انها ستشتري لي ثياباً والعاباً جديدة، وان الاغراض القديمة يجب ان تبقى كيلا يشك احد بذهابنا. وكان كل ما اخذته معي آنذاك باتريشيا!».

وانهمرت الدموع مجدداً من عينيها ثم قالت:

«وقع... الحادث وقتلت اليزابيت. كنت تعيسة جداً واشعر بحزن وخجل عميقين. لم... لم اتمكن من اطلاع ابي عما كنت انوي القيام به، لم اتمكن من ابلاغه انني كنت سأبادله بمهر!».

وراحت تبكي بانفعال وعصبية، فضمتها ايما مجدداً الى صدرها واخذت تربت بحنان ووداعة على كتفيها الصغرتين. ومع انها تأثرت جداً بما سمعت، الا انها شعرت بشيء من الأمل يتفاعل في داخلها. فاذا كان ما روته انابيل صحيحاً، فإن احتمالات العوامل النفسية تتضاعف بسكينة انابيل، انها لا تريد ان ترى خيبة الأمل على وجهه عندما يكتشف الحقيقة... انها لا تريد ان ترى! هذه هي الكلمة!

حدثتها ايما بهدوء وحنان مخففة عنها مصابها، ثم اعادتها الى البيت لتناول طعام الغداء. وعندما انتهت انابيل من الغداء وذهبت الى غرفتها كالمعتاد لتنام ساعتين، خرجت ايما الى الحديقة واخذت تحلل بهدوء ورويّة القصة التي سمعتها من صديقتها الصغيرة. صحيح انها اكتشفت دافعاً لتلك المشكلة، وسبباً لرفض الفتاة التحدث عن الحادثة. ولكن، هل يكفي ذلك؟ وكذلك، فماذا ستفعل باكتشافها هذا؟ انها تشك كثيراً في ان

معرفة دايمون للحقيقة سوف تعيد بصر انابيل بطريقة عجائبية! ثم تنهدت بعمق وحولت تفكيرها الى اخيها ومشاكله.

وسمعت وقع اقدام وراءها، فالتفتت بشيء من العصبية لتشاهد دايمون يقترب منها وقد بدا جذاباً وساحراً الى درجة كبيرة. جلس قربها واخذ سيكاراً من جيب سترته ثم قال لها:

«اين كنت طوال اليومين الماضيين؟».

هزت كتفيها وقالت له بهدوء:

«هنا وهناك!».

برقت عيناه بلمعان غريب وتمتم بحنق:

«تتجنبينني؟».

«لا... لا... اعني انك... كنت مهتماً بأنابيل، وأنا... انا كانت لدي بعض الأعمال البسيطة».

«مهلاً، مهلاً! هل تظنين انني رجل غبي؟ يمكنني ان اقرأ افكارك ككتاب مفتوح، يا ايما. انك تتجنبينني كأنني وباء خبيث. لماذا يا ايما؟ هل تخافين ان انقلب عليك؟ ام انك تعتقدين انني بعد ان عرفت الحقيقة فلربما بدأت بمضايقتك وازعاجك كي تتزوجيني؟».

«توقف! توقف!».

«لماذا؟».

واطفأ سيكاره ثم قال لها بهدوء:

«في اي حال، انا مسافر غداً الى لندن، وعندها يمكنك ان ترتاحي. هل تريدنني ان انقل اي رسالة الى اخيك؟».

احنت ايما رأسها وقالت له متلعثمة:

«انك... انك لم... تمض... فترة طويلة هنا».

«صحيح».

ثم هز كتفيه واضاف:

«ربما كان عليّ ان اطلعك على السبب. اتصل بي بول امس وابلغني بأن اشخاصاً اقتحموا شقتي قبل ليلتين، وان باينز تعرض للضرب والتعذيب وكاد يقتل».

اتسعت عيناها استغراباً وتأثراً، وقالت بصدق واخلاص:

«باينز! انه لأمر فظيع ومؤسف حقاً!».

«صحيح. في اي حال، لم يسرقوا شيئاً».

«اذن، لماذا...؟».

«لا اعرف اكثر من هذا، كما اننا ورجال الشرطة لا نعرف سبب الاقتحام. ولذلك يجب علي الذهاب لمعرفة الاسباب الحقيقية ونتائج التحقيقات الأولية».

حدقت به ايما خائفة وقالت:

«اوه دايمون! هل انت مضطر للذهاب؟».

وانتبهت الى ان نبرة صوتها تخونها وتفضح مشاعرها تجاهه، فتمالكت اعصابها وقالت:

«اعني انك ستكون حذراً، اليس كذلك؟».

امسك بمعصمها وتمتم قائلاً:

«ايما، قولي لي ارجوك! ماذا تريدنني ان افعل؟».

وأحست ايما بأن عظامها بدأت تذوب كالشمع بسبب لمسته، وسمعته يضيف قائلاً:

«لا تفعلي ذلك بنا!».

«دايمون، يجب ان تذهب الى لندن».

قالتها بصعوبة فائقة وهي تحس بقوة مشاعره تغلفها وتهز اعماقها.

وسارع دايمون الى الرد عليها وكان صوته مثقلاً بالعواطف الجياشة:

«انا لا اتحدث عن لندن، وانت تعرفين ذلك! انني اتحدث عنا نحن! عن حياتنا! انك تدمرينني!».

«اوه، دايمون!».

رد على همسها بصوت قاس:

«انك تحبينني! اللعنة عليك يا ايما، اعرف انك تحبينني!».

اغرورقت عيناها بالدموع فيما كانت تتأمله بمحبة وحنان. هذا هو دايمون الحقيقي. لم يعد ذلك الثري المتغطرس الذي اعتادت على رؤيته خلال الاشهر القليلة الماضية. بل اصبح دايمون الذي كانت تعرفه قبل سبع سنوات... جالساً قربها ممسكاً بذراعها، وعيناه تتعذبان رغبة وحباً. وصرخت بصوت عال بعد ان شعرت بأنها غير قادرة بعد الآن على حرمانه

www.elromancia.com

اي شيء:

«نعم، نعم، نعم! بالطبع احبك يا دايمون. احببتك دائماً، واريد الآن اعادة حياتك الضائعة اليك... لا الى تدميرك!».

تمتم بصوت اجش وهو يحني رأسه ويقبل يديها بمحبة وحنان:

«اذن احبيني! لا اريد منك الا ان تحبيني، لأنني... يشهد الله على ذلك... لن اتمكن من العيش بعد الآن بدونك!».

لم تصدق ايما تماماً انها في حقيقة وليس في حلم... وان المعجزة حدثت. انها تخرج الآن من ذلك النفق الطويل المظلم لتشاهد النور الساطع وتتنشق الهواء المنعش. قد تعود الشكوك في وقت لاحق، اما الآن فليس هناك احد الا هي ودايمون... وهذا الشعور الرائع الذي يربط بينهما. نزلت ببطء من كرسيها الى ذراعيه اللتين استقبلتاها بقوة ومحبة.

وبدا ان دهوراً مرت قبل ان يعود دايمون الى الاستلقاء على ظهره، وهو لا يزال ممسكاً بيدها كيلا تهرب منه... حتى ولو ارادت ذلك. اشعل سيكارة وراح ينفث دخانها بهدوء وارتياح. ثم... عاد به التفكير فجأة الى سان فرانسيسكو وتساي بن لونغ. وتأمل مرة اخرى بتمعن اكثر الولاعة الذهبية التي اخذتها منه تساي واعادتها بطريقة غامضة تثير التساؤل. وقال لنفسه بغضب انه كان عليه ان يتحقق عن الفتاة الصينية التي قتلت اثناء ليلته الاخيرة في الولايات المتحدة. هل هي تساي بن لونغ ام مجرد فتاة صينية اخرى؟ ولما رفعت ايما نفسها على مرفقها ورأت ذلك العبوس والتفكير العميق على جبينه ووجهه، تمتمت تسأله بشيء من الانقباض:

«دايمون... انك... انك غير نادم... وتعيد النظر منذ الآن؟».

اعاد دايمون الولاعة الى جيبه وهز رأسه وقد علت وجهه ابتسامة كسولة. مد يده الاخرى وداعب عنقها بوداعة قائلاً:

«بماذا تفكرين الآن يا حبيبتي؟ بالنسبة الي، انا احبك... اعشقك... احببتك دائماً منذ اللحظة الأولى... احببتك حتى عندما كنت اكرهك! هذا صحيح! يا ايما! كرهتك!».

«والآن؟».

«الآن سوف نتزوج بغض النظر عن اي اعتراضات وعن هوية المعترضين. لم اعد ارغب في تمضية حياتي في غرفة مجلس الادارة. اريد

مزيداً من الوقت لنفسي. اريد اولاداً... اريد اولادنا!».

«وانابيل؟».

ذكرت ايما اسم الطفلة وهي تدعه يضع رأسها على صدره، بحيث شعرت بالطمأنينة وراحة البال لأول مرة منذ عدة سنوات. اشعل دايمون سيكارة اخرى واجابها بهدوء:

«انابيل متعلقة بك الى حد كبير. لقد اثبتت ذلك مرات عديدة. وعليه، فأنا لا اعتقد انها ستجد صعوبة او غرابة في تحولك من صديقة الى زوجة اب. اضافة الى ذلك، انك ستكونين لها اماً افضل بكثير من اليزابيت».

«اوه! اوه!».

وقفزت ايما من مكانها وهي تقول:

«اوه، هذا يذكرني بشيء اكتشفته اليوم. كانت اليزابيت تنوي خطف انابيل منك عندما وقع الحادث».

هز دايمون رأسه وقال:

«لقد تصورت ذلك آنذاك».

تنهدت ايما واضافت:

«انابيل لا تعرف انك تعرف. انها تعاني من عقدة اتهام الذات بشكل رهيب».

ثم نظرت اليه بجدية بالغة وقالت:

«اني اعتقد فعلاً بأنه ربما كان لهذه القصة علاقة بفقدانها نظرها».

اتسعت عيناه لحظة ثم تنهد وقال:

«ولكن، لماذا؟ اعني... انها تعرف بأنني لن الومها بالنسبة الى اي شيء حدث ذلك اليوم».

«اعرف. ولكن، الم تنتبه للنقطة الأساسية؟ انها مهتمة بأمرك انت وليس بأمرها هي. انها تلوم نفسها لأنها سمحت لأليزابيت باقناعها على الرحيل. انها تشعر بالذنب لمجرد قبولها التخلي عنك!».

حمل دايمون احدى يديها الى شفتيه وقبلها قائلاً:

«وتعتقدين حقاً ان من شأن ذلك التسبب بوضعها الحالي؟».

«ربما كانت هناك علاقة ما. ولذلك، فلو تمكنا من اقناعها بأنك غير

مهتم على الاطلاق بما حدث ذلك اليوم وانك لا تزال تحبها بالقدر ذاته رغم تلك الحادثة، فانها... ربما... تبدأ طريق العودة الى حالتها الطبيعية. وعندئذ يعمل الاخصائيون على ايقاظ عضلات عينيها وتدريبها على التكيف مع استعادة البصر».

وقف دايمون وتمتم بتأثر وانفعال:

«آه، لو يمكنهم ذلك!».

طوقته ايما بذراعيها وضمته الى صدرها بقوة وهي لا تزال غير مصدقة تماماً بأنهما لا يتشاجران او يتعاركان، بل يتحدثان بهدوء ومحبة كأي عاشقين راشدين. وسمعت دايمون يقول لها بصوت منخفض:

«ايما، لا تجعليني اريدك اكثر مما اريدك الآن وفي هذه اللحظة بالذات!».

«لماذا؟».

سألته بصوت هامس يوحي بالاستفزاز والاغراء والتحدي... وبرغبة قوية في ان يقبل التحدي. وبسرور بالغ وسعادة فائقة، قبل دايمون التحدي ووضع حداً للمزيد من هذا النوع من الاستفزاز الذي يحبه ويتمناه...

١٣- اقتحام حديث القلوب

في ذلك المساء، ارتدت ثيابها وزينت نفسها بعناية واهتمام. انها ليلته الأخيرة في الجزيرة، اذ انه سيتوجه الى لندن صباح اليوم التالي للتحقق من امر الشقة ولاعداد بعض الاوراق الضرورية لزواجهما. وسوف يعود في وقت لاحق من الاسبوع ليأخذ الجميع الى لندن لحضور حفلة الزفاف. انه يريد عقد قرانه بسرعة قبل ان يكون لديها الوقت الكافي لتغيير رأيها.

وانفرجت اساريرها عندما تذكرت ردّ الفعل الهادىء لأنابيل عندما ابلغاها النبأ، اذ قالت:

«أحسست منذ البداية، يا ايما، ان لديك مكانة خاصة في قلب ابي. لم يرحب ابداً بوجودك معنا عندما كنت اطلب منه ان ترافقينا. ولكن عندما كنت تأتين بناء على اصراري، كان يريد تمضية معظم الوقت معك».

احمرّ وجه ايما حياء وسألتها:

«الا يزعجك ذلك؟».

«طبعاً لا. على الاقل... اعتقد ان ذلك لن يزعجني ابداً. ولكن اذا... اذا رزقتما اطفالاً آخرين، فهل سأظل انا الكبرى بينهم؟».

احتضنتها ايما بحنان شديد وقالت:

«انابيل، انت ابنتنا الآن. واذا انجبنا اطفالاً اخرين فانهم سيستعينون ويسترشدون بك لأنك الكبرى، كما تقولين».

وداعبت شعر الطفلة بمحبة واضافت قائلة:

«انت قلت لي انك تحبين كثيراً ان يكون لديك اخوة واخوات».

«طبعاً، طبعاً».

www.elromancia.com

ثم غطت وجهها الجميل مسحة حزن وأسى، ومضت الى القول:
«ولكني لن اتمكن من رؤيتهم، اليس كذلك؟».
نظرت ايما نحو دايمون بسرعة ثم اجابتها بتمهل وروية:
«ربما تمكنت من ذلك يا حبيبتي».
ثم تنهدت بصمت وقالت:
«اطلعت والدك يا انابيل عما قلته لي هذا الصباح».
«صحيح يا ابي؟ هل اخبرتك ايما باني كنت انوي التخلي عنك؟».
رفع دايمون ابنته بحنان وأجلسها برفق ومحبة على ركبتيه وهو يقول:
«كنت اعرف ذلك مسبقاً يا ملاكي».
«انت تعرف؟ آه يا ابي الحبيب! كنت سأقدم على عمل شنيع جداً!».
اجابها دايمون بدمائة وحنان وهو يقبل رأسها:
«لا تكوني سخيفة يا حبيبتي! كنت طفلة صغيرة، في الرابعة فقط من عمرها!».
«كنت اريد ذلك المهر اللعين، الا تذكر؟ وقالت لي اليزابيت انها ستبتاع لي مهرين عوضاً عن مهر واحد!».
وأخفت وجهها قرب عنقه فيما كان يقول لها بنعومة واقناع:
«المؤسف ان اليزابيت كانت امرأة تعيسة وغريبة الطباع».
وتركتها ايما وهي تشعر بأنّ الأسى قد وضعت... وبأنّ الوقت وحده كفيل بمساعدتها على الشفاء من عقدتها النفسية، واسترجاع بصرها.
ونزلت ايما من غرفتها الى القاعة حيث كان دايمون بانتظارها. وقف احتراماً لدى دخولها، واقترب منها وهو ينظر اليها بعينين دافئتين تشعّان حباً وحناناً. وتعجبت بصمت من قدرتها على تحويله الى رجل آخر... رجل محب وهادىء... رجل يبدو الآن اصغر من سنه بعدة سنوات.
قبّلها، فقالت له:
«اتمنى لو انك لم تكن مضطراً للذهاب غداً».
«وانا ايضاً».
«هل عادت لويزا؟».
«نعم. قالت لي تانزي انها ترتدي ثيابها لتناول العشاء معنا. اني اشكر الظروف لأنها هنا».

احمرّت وجنتاها قليلاً، فاضفى ذلك على وجهها جمالاً وروعة. ثم احست بدخول لويزا التي حيتها بتهذيب قائلة:
«مساء الخير».
ردّا التحية بالمثل، ثم سألتها ايما:
«هل امضيت يوماً ممتعاً؟».
«الى حدّ كبير، شكراً. ابتعت كمية من القماش الجميل والجيد، سأريك القماش في وقت لاحق».
ابتسمت ايما ثم تطلعت نحو دايمون لتعرف ما اذا كان ينوي ابلاغ احد باستثناء انابيل عن زواجهما المرتقب. ولم تضطر للانتظار طويلا، اذ سمعته يقول:
«اعتقد يا لويزا ان عليّ ابلاغك بالأمر. اتفقنا انا وايما على الزواج في الاسبوع المقبل».
ظهرت الدهشة بوضوح على وجه لويزا وقالت بتلعثم:
«انها مفاجأة... انكما... لا تعرفان...».
قاطعها دايمون بتهذيب ووداعة قائلاً:
«لا يا لويزا! التقيت ايما لأول مرة قبل ثماني سنوات عندما كانت تعمل في مكاتبنا بلندن. ولكنها...».
وتردّد قليلاً ثم ابتسم وأضاف قائلاً:
«ولكنها لم تقبل بالزواج مني الا اليوم».
«ماذا... ماذا يمكنني ان اقول... سوى انني مسرورة لكما وآمل ان تكونا سعيدين جداً».
عندما انتهوا من تناول طعام العشاء انسحبت لويزا بهدوء لتتركهما على انفراد. وضع دايمون شريطاً يضم مجموعة كبيرة من المقطوعات الموسيقية الحالمة تعزفها احدى اشهر الفرق في العالم. ثم اطفأ الانوار الاساسية، مكتفياً بضوء جانبي بعيد، وجلس قرب ايما على تلك الكنبة الكبيرة المريحة.
«والآن اخبريني ماذا كنت تفعلين طوال السنوات السبع الماضية. اريد ان اعرف كل شيء عن حياتك منذ انفصالنا حتى الآن».
«لم يحدث معي اي شيء يذكر. فبعد ان تركت شركتك دخلت

مستشفى سانت بنيديكت كطالبة تمريض. ثم اصبحت ممرضة مسؤولة، وكما تعلم، كنت آمل في ان أتوصّل الى رئاسة القسم الذي كنت اعمل فيه».

«هل تفتقدين عملك؟ هل تندمين على التخلّي عنه؟».

وضعت رأسها على كتفه بغنج ودلال وقالت:

«لا، ابداً. كنت اشعر في البدء انني اتمنى وجود زميلاتي الممرضات لتتحدث عن المرضى ومشاكلهم، ولكن ذلك لم يعد يهمني كثيراً. الآن، تبدو لندن بعيدة جداً... ولكني لن امانع في الذهاب اليها اذا كنت معي».

نظر اليها بمحبة وتمتم قائلاً وهو يداعب ذراعها:

«لماذا بحق السماء جعلتنا نضيّع هدراً مثل هذه الفترة الطويلة من حياتنا؟».

«اوه، دايمون اني خائفة! خائفة من ان هذا الغرام لن يدوم. اني أُحبك كثيراً... لدرجة لا اتحمل معها حدوث اي شيء يفسد حياتنا او حبنا».

«لن يحدث اي سوء على الاطلاق. سوف نتزوج خلال اقل من اسبوع، ولن ادعك تذهبين بعد ذلك ابداً. سأعلمك معنى الحب، وخفايا الحياة الزوجية».

وابتسم عندما رأى احمرار الخجل والحياء يغطي وجنتيها بقوة، وقال:

«لا تكوني خجولة معي. لن اؤذيك، وانت تعلمين ذلك».

«اعلم».

وفجأة أحسّت بوقع اقدام. ابعدت نفسها عن دايمون والتفتت نحو الباب لتشاهد انابيل قادمة وعلى وجهها ملامح انفعال واضحة. اقتربت منها وسألتها بذهول:

«انابيل، ما بك؟ ماذا تفعلين هنا، وفي مثل هذا الوقت؟».

«اردت ان... ان انزل لرؤ يتكما معاً كي اخبركما ما حدث. ايقظني شيء ما وكنت خائفة. ثم تذكرت انك ستصبحين امي الجديدة، فقلت لنفسي انك لن تمانعي في حضوري اليكما».

نظرت ايما مبتسمة الى دايمون ثم قالت لأنابيل:

«طبعاً لا تمانع يا حبيبتي. ولكن ماذا ايقظك؟ هل لويزا هي التي

ايقظتك؟».

«لا، لم تكن لويزا. على الاقل اني متأكدة من انها لم تكن لويزا، فانا اعرف طريقة سيرها».

وترددت لحظة ثم تابعت قولها:

«لست متأكدة مما حدث. عندما جلست في فراشي كان الهدوء يخيم على الغرفة، ولكني شعرت بان احداً كان هناك».

وامسكت بيد ايما وهي تقول:

«كنت خائفة حقاً! اني لا اقول ذلك تحججاً او ادعاء! كنت خائفة الى درجة كبيرة!».

ارشدتها ايما الى الكنبة، فقفزت انابيل الى حضن والدها وقالت له:

«سمعتكما تتحدثان فعلمت انكما هنا».

وضمّت والدها بقوة واضافت:

«أبي! انك تحب ايما حقيقة، اليس كذلك؟ اعني انك لن تغيّر رأيك... بعد الزواج؟».

نظرت ايما الى عيني دايمون فرأت فيهما بوضوح انه لن تقع اخطاء هذه المرة. وسمعت دايمون يرد على ابنته بصدق واخلاص وهو يربت برفق على كتفها:

«اني احب ايما يا انابيل، وما من شيء في العالم يغيّر رأيي بالنسبة اليها. اني احبها منذ زمن بعيد، ومن غير المرجح ابداً ان اتحوّل عن حبي لها الآن. الا توافقينني على ذلك؟».

«وهل تحبك ايما الى هذه الدرجة؟».

ردّت عليها ايما بسرعة قائلة:

«طبعاً، يا حبيبتي، طبعاً! لا تقلقي ابداً! فسيكون لك باذن الله بيت وعائلة، تماماً كأي فتاة صغيرة اخرى، وسنكون انا ودايمون دائماً قربك عندما تحتاجين الينا».

«اوه، اني اتمنى ذلك من كل قلبي!».

وقالت ايما لنفسها انه سيسعدها كثيراً ان تتمكن من تعويض هذه الطفلة البريئة عن الآلام والأحزان التي تعانيها منذ ولادتها... اولاً مع امها، وثانياً مع فقدانها النظر والمشاكل المترتبة على ذلك. تحدّثوا بعض

الوقت وفرحت ايما الى حد كبير عندما لاحظت انفتاح انابيل التام والكلي على والدها وابلاغه كل شيء تعرفه . . . بما في ذلك ان روزا تنتظر مولوداً جديداً. وبعد فترة من الزمن، انزلها دايمون عن ركبتيه وقال لها بحزم، وهو يقبّلها:

«الى الفراش والنوم ايتها الآنسة. انها العاشرة تقريباً».

نظرت اليها ايما متمنية بكل مشاعرها وجوارحها ان يعود اليها نظرها، وان تظل دائماً . . . سعيدة ومبتهجة. وسمعتها تسألها:

«هل من الممكن يا ايما ان تأتي معي؟ ارجوك!».

«طبعاً يا حبيبتي. تمنّي لوالدك ليلة سعيدة، وهيّا بنا».

قبّلت والدها بعطف وحنان وغادرت الغرفة وهي ترقص فرحاً وسروراً. وكانت تتوقف بين الحين والآخر لتتأكد من ان ايما لا تزال وراءها. كانت الغرفة غارقة في الظلام، وقد دخلتها انابيل بسهولة ويسر لأنها ليست بحاجة الى النور. وقفت ايما داخل الباب ومدّت يدها لتضيء الغرفة، فأحست فجأة بيد تضغط على فمها وتمنعها من اطلاق صرخة الهلع التي اختنقت في حلقها، وذراع قوية تطوقها وتشلّ حركتها. حاولت التملص ولكن دون جدوى. وكانت الطفلة واقفة قرب سريرها وهي تشعر بوجود خطر ما بدون ان تدرك تفاصيله او اسبابه. وقالت بصوت مرتجف يعكس مدى خوفها وفزعها:

«ايما! ايما؟».

حاولت ايما جاهدة مرة اخرى التملص من قبضته ولكن محاولاتها باءت بالفشل. وقال الرجل الغريب:

«ما بها هذه الطفلة؟ الا تراك؟».

ثم سحب يده التي كانت مطبقة على فمها وقال لها:

«صوت واحد او حركة واحدة واقتل الفتاة!».

ركضت ايما نحو انابيل غير عابئة بالخطر المحدق بها وهمست قائلة:

«كل شيء على ما يرام يا حبيبتي، ولكن لا تتكلمي او تتحركي من مكانك!».

تأملت ايما الرجل الدخيل بدقة وعناية. قصير القامة، ممتلىء الجسم، شعره حالك السواد، وعيناه ليستا كعيون الاوروبيين. حرّك مسدسه

تجاهها وسألها بحدة:

«اين ثورن؟».

تردّدت ايما ولجأت الى الكذب:

«لا . . . لا اعرف».

تقدّم نحوها الرجل وقال لها بقسوة وعيناه تقدحان شرراً وحقداً:

«يكفي هراء وسخافة! كنت معه طوال السهرة. انا سمعتكما بهاتين الاذنين. اين هو الآن؟ هيا . . . هيا اخبريني، والا آذيت الطفلة».

بلعت ايما ريقها بصعوبة واخذت تنظر حولها. شاهدت الغرفة وقد قُلبت راساً على عقب ولم يترك فيها هذا الرجل اللعين مكاناً الا وفتش فيه. تردّدت ايما مرة اخرى ولكنها لم تتمكن هذه المرة من الكذب خوفاً على حياة انابيل.

«انه . . . انه في القاعة. ولكن، ارجوك، ماذا تريد؟ ليست لدينا هنا اي اغراض ثمينة. خذ ما تريد، بحق السماء، واتركنا. اتركنا!».

«اخرسي!».

ثم نظر الى الممر الطويل وقال لها وكأنه يقرأ افكارها:

«لن تتمكن تلك الشقراء من مساعدتك ايتها الآنسة، كما انني اشك كثيراً في ان احداً آخر سوف يهرع لمساعدتك!».

«لويزا؟ ماذا فعلت بها؟».

«لا شيء، لا شيء، انها بخير».

ثم ابتسم بلؤم واضاف قائلاً:

«ستشعر على الأرجح بصداع قوي غداً، فانا عادة لا اقتل النساء! تعاليا الى هنا وبسرعة؟ »

وقفت ايما ببطء، وتقدمت وانابيل نحوه بهدوء وتمهل. كانت الطفلة الصغيرة ترتعش خوفاً، كما ان ايما احست بان رجليها ضعيفتان جداً وانها تكاد تقع ارضاً.

«هيا الآن امامي بنعومة وروية. ولا تحاولي القيام بأي حركات سخيفة ايتها الآنسة لأن الطفلة تموت اولاً. هل تفهمين؟».

وضعت ايما ذراعها على كتف انابيل وشدتها نحوها قائلة بنبرة مشجعة:

«هيا يا حبيبتي، لنذهب ونجد والدك».

شدّت انابيل على يدها بقوة وسألتها قبل ان تنهار باكية:

«هل... هل سيقدم هذا الرجل على قتل ابي؟».

هزّت ايما رأسها بعنف واجابتها:

«لا... لا! طبعاً لا! انه يريد التحدّث معه فقط».

«ولكنه يحمل مسدساً، اليس كذلك؟».

حدّقت بها ايما بذهول وسألتها:

«وكيف عرفت ذلك؟».

افترضت انه يحمل مسدساً، والا كيف يكون بامكانه ان يرغمنا على تنفيذ ما يريد؟».

كانت القاعة تبدو جذابة ومغرية في ذلك الضوء الخافت، ودايمون لا يزال جالساً على الكنبة كما تركتاه يتصفح احدى المجلات المتخصصة بشؤون السيارات والمحركات. رفع رأسه استغراباً وقال:

«انابيل! كنت اعتقد انك... اللعنة على الشيطان، ماذا يجري هنا؟».

وتوقّف فجأة عندما شاهد الرجل يدخل وراءهما وهو يحمل بيده سلاحاً قاتلاً يصوبه على انابيل.

«اوه، دايمون».

قالتها ايما هامسة، فأمسك الرجل بذراعها وقال لها بقسوة فيما كان دايمون يهبّ واقفاً ومتحفزاً:

«اهدأي ايتها الآنسة، فانا والسيد ثورن سوف نجري بعض المساومات والصفقات المثيرة!».

أحسّت ايما بأنها ترتعش وهي تراقب الرجل الدخيل يستجوب دايمون بعنف وقسوة. ظهر الارهاق والتعب الشديدان على وجه دايمون، فقد مضت خمس ساعات على وصول هذا الرجل واصدقائه. وقالت ايما لنفسها. انّ هذا الرجل يحظى بمساندة ما من خارج المنزل، والاّ لما كان اقدم على هذه المهمة الصعبة.

ولاحظت ايما من عملية الاستجواب ان دايمون، من حيث لا يدري، اصبح ضحية لعبة قذرة جداً تتعدّى الاقتحام والتهديد بالسلاح، وحتى القتل. ولكن الرجل الغريب لا يصدّقه... في البداية كان هادئاً ويحاول

استخدام الاقناع المنطقي وهو يسأل دايمون عن مكان وجود الفيلم. ولما ظلّ دايمون يصرّ على انه لا يعرف شيئاً، تحوّل الرجل الى العنف وهدّده بسكين فيما ظل مسدسه مصوباً نحو الفتاتين:

«سيد ثورن! انا لست رجلاً صبوراً. لا تصرّ على موقفك هذا لأنك ستضطرني الى استخدام اساليب اقناع اخرى. هل تريدني مثلاً ان امزّق وجه ابنتك امام عينيك، ام ان الصبية تهمك اكثر من الطفلة؟».

هزّ دايمون رأسه بقوة وانفعال قائلاً:

«اني اقول لك للمرة المئة... لا اعرف بتاتاً عمّا تتحدث».

فقد الرجل صبره وسيطرته على اعصابه فهوى بعقب المسدس على مؤخرة عنق دايمون بوحشية بالغة. فقد دايمون توازنه ووقع على الارض. ضغطت ايما على فمها كيلا تطلق صرخة خوف وألم، فيما كانت انابيل تسألها بلهفة:

«ماذا حدث؟ ماذا فعل؟ هل تعرض أبي لسوء؟».

صرخ بها الرجل بصوت عال وهو يتحوّل نحوهما وكأنه يريد الانقضاض عليهما:

«اخرسي!».

احتضنت ايما الطفلة الصغيرة بقوة وهي تحاول ان تحميها بجسدها وروحها حتى آخر رمق، فيما لو حاول هذا اللئيم القيام بأي شيء على الاطلاق. نهض دايمون بصعوبة فعاد الرجل الى الاستجواب... وعاد دايمون الى نفي اي علاقة او معرفة بما يتحدّث عنه هذا الرجل. وحاول ان يستخدم المنطق معه، فقال:

«اسمع! الا تعتقد انني لو كنت اعرف شيئاً لكنت اخبرتك اياه؟ هل تعتقد بأنني اريد رؤية ابنتي وخطيبتي تتعذبان وتتألمان؟».

«عد الى رشدك يا ثورن! ما اقوم به الآن هو امر عادي جداً بالنسبة الي. لقد التقيت عشرات الاشخاص مثلك وجميعهم يعتقدون ان بامكانهم التهرب والتملص بالادعاء بانهم يحكون الحقيقة. هذا التظاهر لن ينجح معي! صدقني! سأحصل على هذا الفيلم منك بطريقة او باخرى، وعندما يتم ذلك...».

واقترب من دايمون ثم وضع حافة السكين على عنقه وضغط قليلاً وهو

يقول:

«هل تشعر بالسكين؟ بالمعدن الحاد البارد؟ هذا ما ستتعرضون اليه جميعاً ما لم تعد الى رشدك».

رفع دايمون رأسه فجرح ذقنه وسالت منه بضع نقاط من الدم، مما ارعب ايما قليلاً فصرخت:

«رباه!».

ابعد الرجل السكين عن عنق دايمون، كان واضحاً انه لا ينوي قتله قبل ان يخبره عن مكان الفيلم. ولكن اي فيلم؟ واحتارت ايما واصابها الذهول. هل من الممكن ان دايمون يعمل لحساب احدى المنظمات الحكومية بدون معرفتها؟ انه لأمر مستبعد جداً، ولكنّ اموراً اكثر غرابة وقعت وتقع كلّ يوم في هذا العالم المجنون! واستمرت التحقيقات والاستجوابات، وظلّت الفتاتان تشعران بالعجز وعدم القدرة على مساعدة دايمون. ارغمهما الرجل على الجلوس ومشاهدة اضطهاده وتعذيبه لدايمون، وشعرت ايما بشيء من الارتياح لأن انابيل لا ترى شيئاً. كانت ستتأثر اكثر بكثير لو كانت مبصرة وشاهدت والدها يعذّب ويهان ويهدد بسكين، بدون ان يتمكن من تحريك ساكن بسببها.

وفي احدى الفترات، ضرب الرجل دايمون على رأسه فأفقده وعيه. هرعت ايما الى جانبه غير عابئة بتحذير الرجل الغريب ووضعت رأس حبيبها في حضنها وراحت تربت على خديه برفق وحنان. ثم نظرت بحقد وعنف الى الرجل الغريب وصرخت بوجهه قائلة:

«أيها اللئيم! لماذا لا تذهب؟ الم تلاحظ بعد انه لا يعرف شيئاً على الاطلاق؟ الا ترى انك تقتله لمجرد القتل فقط؟».

رفعها الرجل عن الارض بوحشية ولوى ذراعها وراء ظهرها ثم دفعها بقوة الى الجانب الآخر من الغرفة وهو يقول:

«اذهبي الى هناك، واحضري ابريق الماء ذاك».

فركت معصمها لتخفيف الألم وأحضرت ابريق الماء صاغرة. وفكرت بضربه بالابريق على رأسه، ولكنها خافت من الا يترك المسدس من يديه ويبدأ باطلاق النار مما قد يؤدي الى مقتل احدهم او جميعهم. ولم تجرؤ على المجازفة. اعطته الابريق فصب الماء على وجه دايمون الذي أفاق للتو من

غيبوبته. جلس على الارض وهو يضع احدى يديه على مكان الجرح الذي خلفته ضربة الرجل. ولما انتبه الى وجود الرجل، وقف بسرعة وتطلع نحو ايما وانابيل ليتأكد من انهما لم تتعرّضا لأيّ ازعاج او مضايقة. وعاد الاستجواب والتعذيب، الى ان قال له الرجل:

«اسمع يا صديقي العزيز! سنورد الحقائق الواحدة تلو الاخرى، واذا تمكنت من نفيها بشكل مقنع ومرض فسوف نرى عندئذ ماذا سنفعل».

حدّق به دايمون متعباً ومرهقاً، فالساعة تجاوزت الثالثة ببضع دقائق والصباح سينبلج خلال فترة قصيرة. ثم قال له بصوت منخفض:

«أي حقائق يا رجل؟ اخبرتك مئة مرة انني لا اعرف شيئاً عن هذا الموضوع. انا رجل اعمال وليس جاسوساً!».

«الأمر سيان لدي. ان كنت عميلاً مأجوراً او انك تبرعت بالقيام بهذه العملية فقط، فالامر لا يهمني. ما اعلمه جيداً انك ستدفع الثمن غالياً، كما ستدفع صديقتاك الجميلتان ثمناً مماثلاً، ما لم تخبرني الحقيقة. ركزت جميع محاولاتي حتى الآن عليك، ولكني سأتحوّل قريباً اليهما.

أضعت وقتاً ثميناً معك، الا ان لدينا كل الوقت الذي تريده. فوجودك يا سيد ثورن على هذه الجزيرة الصغيرة يساعدنا ويخدم اهدافنا».

وتأثر دايمون اذ انه لا فرصة امامهم على الاطلاق. ولكنه لن يستسلم بدون قتال... اذا سنحت له الفرصة.

«اذن، هل اخبرك بما نعرفه نحن؟».

«وماذا يمكنكم ان تعرفوا؟ ليس هناك شيء كي تعرفوه».

«صبرك يا سيد ثورن، فهناك الكثير! اولاً، هل يمكنك ان تنفي انك كنت تعرف فتاة صينية جذابة للغاية تدعى تساي بن لونغ؟».

«نعم، كنت اعرفها. ماتت، اليس كذلك؟».

«بكل اسف، نعم. حادثة مؤسفة للغاية. كانت فتاة جميلة ورائعة!».

«انت قتلتها؟».

«اضطررنا لذلك، ولكن المؤسف في الموضوع أنّنا لم نجد الفيلم معها. احسّت بملاحقتنا لها فتخلصت من الفيلم قبل موتها».

«آه، اني افهم الآن ماذا تعني. انتم تعتقدون انها اعطته لي... تظنون انني انا الوسيط».

«اننا لا نظنّ يا سيد ثورن. . . اننا نعرف. انت الانسان الوحيد الذي اتصل بها، ولم يكن ذلك لمرة واحدة بل لمرات عديدة. ان الاستنتاج الطبيعي والمنطقي يوحي بأن اسلوبك الساحر، اعماها عن الأخطار التي كانت تواجهها».

«ولكن الا تلاحظ خطأك؟ فلو كنت انا الوسيط لكان عليها ان تدرك بان اتصالها بي سيفضح امري، اليس كذلك؟».

«خطرت هذه الفكرة في رؤوسنا ولكننا الغيناها لأكثر من سبب. فالفتاة لم تكن على علم تام بأننا وراءها وسنتقض عليها، كما انها ذهبت الى سان فرانسيسكو لمقابلة رجل من التابعية البريطانية».

«الجريمة الثانية هي ايضاً من صنعكم؟ الرجل البريطاني؟».

«نعم. تصوّرنا اننا تخلّصنا بنجاح من وسيطها، الا اننا كنا على خطأ».

صرخت ايما متدخلة في الحديث الجاري بين الرجلين:

«وماذا لو لم تكونوا مخطئين؟ ماذا لو كان الرجل الآخر وسيطها؟ ربما اتصلت بدايمون لأنها تريد مساعدته، ولكنها لم تحصل عليها».

«آنستي العزيزة، انا متأكد تماماً من انك لا تعرفين شيئاً على الاطلاق عن هذا الموضوع. تساي بن لونغ كانت فتاة جذابة للغاية، ومن غير المحتمل الى حد كبير ان يطلعك السيد ثورن على نواياه، مهما كانت تلك النوايا».

احمرّت وجنتاها غضباً وغيرة. ولما شاهد دايمون ذلك الاحمرار وتلك النظرات المنزعجة، ناشدها قائلاً:

«لا تصغي الى كلامه يا ايما، ارجوك!».

«يبدو ان خطيبتك لم تكن تعرف شيئاً عن تساي بن لونغ. كنت اتصور ذلك. اخبرني يا سيد ثورن، هل نمت مع تلك الفتاة؟».

ظهر الرعب على وجه ايما فيما شعر دايمون بحقد وكراهية بالغين تجاه ذلك الرجل الحقير. كيف يجرؤ هذا اللعين على الايحاء بمثل هذه التفاهات والاكاذيب امام ايما، واناييل ايضاً. انه لأمر مؤلم جداً. لم يجب على سؤال الرجل الذي بدا عازماً على ملاحقة الحديث حتى النهاية، اذ قال:

«في فترة ما خلال علاقتك بتلك الفتاة، اصبحت وسيطها. ان كان ذلك بارادتك، وهذا ما اعتقده انا شخصياً، او بغير ارادتك. . . فالامر

سيان وغير مهم بالنسبة الينا. اننا نريد الفيلم!».

«اي فيلم؟ رباه، فتشتم هنا ونقبتم شقتي في لندن. . . فلو كان معي لكنتم وجدتموه!».

«تحدّث بمنطق يا سيد ثورن. الفيلم صغير جداً، ميكروفيلم، ليس اكبر من حبة دواء صغيرة».

وابتسم بخبث ولؤم قائلاً:

«اياك ان تلهو معي يا سيد ثورن، فانا لن اغادر هذه الجزيرة قبل الحصول على الفيلم».

شهقت أيما ثم عادت الى صمتها وحزنها وتساؤلاتها. لا يمكن ان تكون هذه الليلة حقيقية، لا يمكن! انه كابوس مزعج، ولكنه ليس كابوساً.

وقف الرجل بسرعة ورفس الكرسي بعنف ووحشية قائلا:

«الفيلم معك يا سيد ثورن. هل اخبرك كيف اعرف ذلك؟ لأن جميع العملاء الذين نستخدمهم في هونغ كونغ لا يزالون بخير وسلام. لو انك سلّمت الفيلم الى السلطات المختصة، لكانوا معتقلين منذ بعض الوقت. سيحاولون الهرب طبعاً، وبما انهم لا يزالون يعملون، فهذا يعني ان الفيلم لا يزال معك. عندما فتشنا شقتك في لندن كنا متأكدين من ان الفيلم موجود هناك. كان من المستغرب جداً ان تغادر البلاد والفيلم لا يزال بحوزتك. اننا دقيقون جداً يا سيد ثورن!».

ثم ابتسم بخبث وتابع حديثه قائلاً:

«خلاصة القول ان الفيلم موجود هنا. وبما انني اتصوّر انك لن تتركه في مكان ما هنا وتواجه خطر فقدانه، فاني اصبحت شبه مقتنع بانه موجود معك انت بالذات».

وتنهّد بلؤم وقال:

«ان تفتيشك سيكون امراً مزعجاً جداً. ومع انني اكره ان اقوم بذلك شخصياً، الا انني مضطر، مضطر جداً».

«ولكنك فتشتني مرة قبل الآن».

«وهل تعتقد ان ذلك التفتيش كان دقيقاً بما فيه الكفاية؟».

«ماذا تعني بذلك؟».

«اعني ان التفتيش السابق كان خارجياً وسطحياً. اما في المرة المقبلة

فسوف يكون من الضروري ان نبحث في كل مكان من جسمك. هل تفهم يا سيد ثورن؟ في كل مكان!».

وضحك بحقد ومكر ثم اضاف قائلاً بهدوء:

«اني متأكد من انك لا ترغب في ان تشاهد الفتاتان هذه الاهانة والمذلة، ولكنهما ستفعلان ذلك مرغمتين!».

«رباه!».

واحنى دايمون رأسه ومضى الى القول:

«لا يمكنني ان اضيف كلمة واحدة الى ما قلته سابقاً. اقسم لك بانني لا اعرف شيئاً عن هذا الفيلم».

هزّ الرجل كتفيه بدون اكتراث، وقال:

«اخلع ثيابك يا سيد ثورن».

«لا!».

«اعتقد انك ستفعل، يا سيد ثورن».

واقترب منه ببطء ثم ضحك واستدار نحو الفتاتين. استل سكينه ووضعها قرب عنق ايما وكرّر جملته باسماً:

«اعتقد انك ستفعل، يا سيد ثورن».

تصاعدت الدماء الغاضبة الى وجه دايمون بسرعة وانفعال، ويدين ترتجفان حقداً وسخطاً حلّ ربطة عنقه وسحبها بهدوء متعمّد. امسكها امام وجهه لحظة حلّل فيها فرصة واحتمالات الربح والخسارة. عليه التحرك الآن، والا فلن تسنح له فرصة اخرى! ماذا سينجم عن ذلك؟ هذا المجرم السفاح سوف يقتلهم جميعاً في اي حال! نظر الى وجه ايما فشاهد الرعب الحقيقي، وتطلّع الى انابيل فرأى كتلة صغيرة من الخوف والهلع، فتأكد له انه لن يتمكن من البقاء ساكناً بدون حراك.

وبقوة تفوق القدرة البشرية، رمى دايمون بنفسه على الرجل المسلح ملقياً به جانباً. وقع الرجل على ايما، فيما صرخت انابيل وفرّت كالمجنونة نحو الطرف الآخر من الغرفة. ابعده عن ايما و... يا لهول المنظر! كانت سكينه قد غرزت حتى مقبضها في كتف ايما، وكانت حبيبته لحسن حظها غائبة عن الوعي. الا ان الدماء كانت تفور بغزارة من جرحها العميق وتشكّل بركة حمراء صغيرة على السجادة الصفراء تحتها.

لو كان ثمة شيء في العالم يقوّي من عزيمته ويعطيه المزيد من القوة الجسدية، لكان رؤيته ايما جريحة وعلى وشك ان تموت ان لم تحصل على معالجة سريعة. كان الدخيل لا يزال ممسكاً بالمسدس عندما استدار دايمون تلك اللحظة الوجيزة لمعرفة مدى الخطر المحدق بخطيبته. صوّب الرجل المسدس الى خصمه ولكن دايمون كان سريعاً للغاية فوجّه الى وجه الرجل لكمة حملها كل قوته وغضبه واشمئزازه. لم يتمكن الرجل من الضغط على الزناد، ولكنه كان قوياً جداً فاكتفى بهز رأسه بقوة، واطلق صرخة حادة كحيوان برّي جريح ثم استدار نحو دايمون. احس دايمون بان لاحظ له في الحياة ان لم ينقض على عدوّه المسلح والاشتباك معه بالايدي. تقاتل الرجلان بوحشية وضراوة. ومع ان دايمون اطول من خصمه، الا ان ذلك الرجل كان مجموعة من العضلات المفتولة القوية ومعتاداً اكثر بكثير من دايمون على جميع فنون القتال. رفع ركبته ووجهها بأقسى قوته الى معدة دايمون مما دفع به الى الجدار المقابل، حيث ارتطم به ووقع وراء الكنبة في اللحظة التي انطلقت فيها رصاصة حطمت زجاج النافذة فوق رأسه.

تحرّك دايمون بسرعة على الارض قبل ان تسنح للرجل اي فرصة للتحرك. امسك برجليه واوقعه ارضاً حيث قبض على معصم اليد التي تحمل المسدس وراح يضربها على الارض بعنف ووحشية، الى ان وقع المسدس قرب قدمي انابيل. نظر دايمون الى ابنته وقال لها بلهفة وهو يحاول بصعوبة فائقة ابقاء الرجل على الارض:

«انابيل! المسدس! موجود قرب قدميك! اعطني المسدس بسرعة!».

هزّت الفتاة الصغيرة رأسها مذعورة وقالت باكية:

«ابي؟ ابي؟ اين انت؟».

«هنا، هنا يا حبيبتي! اعطني المسدس، يا انابيل! بسرعة!».

انحنت انابيل ورفعت المسدس بيد مرتجفة وقالت:

«ابي؟ ابي؟ اين انت؟».

«اني هنا يا حبيبتي! انابيل، هنا».

بدأ الرجل يتحرّر تدريجاً من قبضة دايمون وامسك بيده ذقن خصمه في حين مدّ يده الاخرى نحو الطفلة. واصيب دايمون بالهلع! فلو اقتربت ابنته قليلاً، فانها ستعطي المسدس لهذا الرجل الشرير. كيف ستعرف؟ كيف

ستفرّق بين يد واخرى؟ قال لها وقد بلغ به اليأس حداً لا يطاق:

«انابيل، انتبهي يا ابنتي! احذري بحق السماء ان تعطي المسدس لهذا الوحش!».

حدقت بهما انابيل وهي لا ترى شيئاً، وكانت تحمل المسدس بيد وتضغط على فمها باليد الثانية. وصرخت باكية وخائفة:

«كيف... كيف سأعرف؟ ابي، اين انت؟».

اقتربت قليلاً فشدّ الرجل نفسه نحوها وامسك برجلها، ففقدت توازنها ووقعت فارتطم رأسها بالخزانة الخشبية القريبة. ولحسن الحظ، وقع المسدس تحتها. وجّه دايمون لكمة قوية جداً الى صدغ الرجل اذهلته فترة وجيزة، ثم نادى ابنته بلهفة:

«انابيل، انابيل! هل انت بخير؟».

بدأت الفتاة الصغيرة بالتحرك ثم وقفت ببطء وهي تمسك بالمسدس مرة اخرى. اجابته بتمهل وهي تفرك عينيها:

«نعم، نعم، اني بخير. ابي؟ هل انت هنا؟».

«هنا... هنا!».

وبدأ الرجل الآخر يتحرك ايضاً. انه بلا شك قوي البنية الى درجة مذهلة. وعاد دايمون ينادي ابنته ويحذرها:

«انابيل، المسدس! ولكن لا تقتربي كثيراً!».

تقدمت انابيل نحوهما ثم بدا وكأنها تتأملهما، لأنها انحنت فجأة ووضعت المسدس في يد والدها. رفع دايمون المسدس وهوى به بكل قوته على رأس الرجل فأفقده وعيه. وقف دايمون وقد ظهر الاعياء على وجهه. وفي تلك اللحظة بالذات دخل رجلان، فصوّب المسدس نحوهما ثم قال وكأنه لا يصدق عينيه:

«المفتش هوارد! رباه شكراً لك! من اين اتيت يا رجل؟».

١٤ - يا لها من ليلة!

دخل المفتش هوارد الغرفة بهدوء وسكينة وكأنه يقوم بزيارة مجاملة. وفيما تولى مساعده تقييد الرجل المغمى عليه، اقترب من ايما التي بدأت تستعيد وعيها تدريجاً وقال لرب البيت:

«اخبرني الآن يا دايمون، ماذا كنت تفعل؟ هل كنت تقيم حفلة للمجانين؟».

وابتسم فرحاً بنفسه لأنه شعر بضرورة العمل على تخفيف حدة التوتر المخيمة على هذا المنزل وجميع المقيمين فيه. القى دايمون بنفسه على احد المقاعد القريبة وقد بلغ منه الاعياء درجة لا تصدق. سأل صديقه المفتش وهو لا يزال ممسكاً بالمسدس:

«هل هي بخير؟».

«انها بدأت تعود الى وعيها. لقد فقدت كمية كبيرة من الدم».

ثم التفت نحو مساعده وقال:

«فيليب، اذهب الى الزورق واستخدم جهاز الاتصال الموجود فيه لاستدعاء الطبيب مريديث. قل له ان يحضر معه معدات خاصة باعطاء الدم، لأن الفتاة قد تكون بحاجة لذلك. هل تعرف يا دايمون فئة دمها؟».

هز دايمون رأسه اشارة الى النفي. وفيما غادر فيليب المنزل متوجهاً الى الزورق، التفت المفتش نحو دايمون وقال له بهدوء:

«ستكون بخير باذن الله. كيف حالك انت؟ وانت ايضاً، يا صغيرتي انابيل، كيف تشعرين؟».

كانت انابيل واقفة قرب مقعد والدها وقد بدت على وجهها ملامح

غريبة. لم تجب المفتش فاستدار والدها نحوها وتمتم بقلق:

«انابيل، حبيبتي، هل انت بخير؟».

هزت انابيل رأسها وقالت لوالدها بصوت ضعيف:

«ابي! الم تلاحظ؟ اعطيتك انت المسدس!».

«انابيل! هذا صحيح! هذا صحيح! هل ترين؟».

سمعت ايما سؤاله فرفعت رأسها المرهق وسألت بصوت واهن:

«هل عاد اليك بصرك يا انابيل؟ هل عاد حقاً؟».

«بدأ بصري يعود تدريجاً... اعتقد ذلك. لا... لا ارى بوضوح. اشعر وكأن غشاوة تغطي عيني المتعبتين. ولكني تمكنت من معرفتك يا ابي. كان علي ان اعطيك انت ذلك المسدس اللعين، اليس كذلك؟».

جذبها دايمون نحوه وضمها بمحبة وحنان مردداً اسمها وصوته يكاد يختنق عاطفة وتأثراً:

«اوه، انابيل! انابيل! انابيل!».

عانقته وقبلته بحنان فياض ثم سارت نحو ايما بخطى بطيئة وثابتة فيما كان والدها والمفتش يراقبانها باهتمام. ارتمت ايما على الكنبة لأنها لم تعد قادرة على الجلوس، فانحنت فوقها انابيل ودفنت رأسها قرب عنق صديقتها الجريحة هامسة:

«اوه، ايما! ساستعيد بصري يا ايما! سوف ارى! يا لروعة هذه الكلمة!».

قال دايمون لنفسه انه لن ينسى هذه الليلة في حياته، لا لرعبها وعذابها بل لأنها اعادت النظر الى ابنته الحبيبة. قد يمر بعض الوقت قبل ان يعود النظر الى حالته الطبيعية، ولكن المهم ان الحاجز النفسي كسر وانها بدأت ترى!

ركع على ركبتيه قرب الكنبة عندما انسحبت انابيل الى مكان آخر، وقال للفتاة الجريحة:

«ايما، حبيبتي، هل انت بخير؟».

شدت ايما على يده بقوة وقالت:

«سأكون بخير، باذن الله. الجرح مؤلم الى حد ما، ولكني سأخرج من هذه المحنة سالمة معافاة... ثمة امور عديدة اتطلع قدماً اليها والى

تحقيقها».

«والآن يا عزيزي، بعض الايضاحات من فضلك! لماذا اتيت الى هنا؟ وماذا عن الآخرين المتورطين مع هذا الرجل؟».

اجابه المفتش هوارد بهدوء وهو يبتسم:

«لم يكن معه سوى رجل واحد، وهو الآن مكبل اليدين والرجلين ومطروح في زورق الشرطة تحت الحراسة».

«عظيم. ولكن، لماذا أتيتم الى هنا؟ اعني، كيف عرفتم بما يجري؟».

«لم نعرف. كنا نعلم فقط ان هذين الوغدين وصلا الى ناسو بمجرد نزولهما من الطائرة، ولكننا بالطبع لم نتصور ان لهما علاقة بك. في اي حال، ابقيناهما تحت المراقبة طوال الوقت. ولكنهما ليسا السبب في حضورنا يا دايمون، مع اننا سمعنا طلقاً نارياً عندما كنا نقترب من الجزيرة وشعرنا بأن مشكلة ما قد وقعت. سبب حضورنا هو ممرضتك، الآنسة ايما هاردينغ. هل هي هنا؟».

ذهل دايمون لأن ذلك كان آخر امر يمكن ان يتصوره. سبقته ايما الى الاجابة وقالت له بصوت واهن وقد اصفرت وجنتاها اكثر من ذي قبل:

«انا ايما هاردينغ. ماذا تريد مني يا حضرة المفتش؟».

دهش المفتش هوارد وقال وهو ينظر بذهول الى دايمون:

«ولكني كنت اعتقد... اعني... ان تصرفك مع الآنسة جعلني... افترض طبعاً انها... انها...».

اجابه دايمون بهدوء:

«انها خطيبتي. سوف نتزوج في نهاية الاسبوع المقبل. لماذا؟».

هز المفتش رأسه وقال:

«هكذا اذن! يا للأسف!».

شهقت ايما ورفعت يدها الى كتفها فجأة... ثم اغمي عليها مرة اخرى. هرع دايمون الى جانبها وهو يقول:

«رباه! رباه! هل تعتقد ان علي نقلها الى ناسو؟».

«لا! لا تحركها من مكانها! سوف تؤذيها اكثر مما تساعدها».

دخل المساعد فيليب في تلك اللحظة وهو يلهث من التعب، وقال:

«الطبيب في طريقه الينا. انه قادم من الدوّرو، وسيصل خلال عشرين

دقيقة».

«شكراً لك يا ربي!».

قالها دايمون بتأثر واضح ثم التفت نحو صديقه المفتش وقال له:

«ولكن يا بوب، ماذا حدث؟ لماذا كنت قادماً لمقابلة ايما؟».

«يؤسفني في هذه الظروف الصعبة بالذات، والتي ستوضحها لي في وقت لاحق، ان احمل للآنسة انباء سيئة ومزعجة. الأفضل ان نبحث الموضوع في مكان آخر كيلا تسمع حديثنا في حال انها استعادت وعيها فجأة».

«رباه! لويزا! تانزي! والخدم! لم يذهب احد بعد لمعرفة ما اذا كانوا بخير!».

وفيما كانت تانزي تدخل الباب، اشار المفتش الى مساعده قائلاً:

«فيليب! تحقق من الأمر!».

«سيد ثورن! ماذا جرى، بحق السماء؟».

«سأشرح لك لاحقاً. هل انت بخير؟ هل دخل احد غرفتك؟».

«لا، حسبما اعلم. لماذا؟ هل وقعت مشاكل؟».

وشاهدت الرجل الغريب ملقى على الأرض، فصاحت:

«اوه! اوه! ماذا يجري هنا؟».

اجابها دايمون بتململ وتبرم:

«في وقت لاحق يا تانزي، في وقت لاحق. اسمعي! ايما مصابة بجرح بالغ. الطبيب في طريقه الينا. ابقي معها هنا فيما اتحدث مع المفتش على انفراد».

«طبعاً، طبعاً».

وركضت نحو ايما وهي تقول بعد ان شاهدتها على الكنبة:

«اوه، الفتاة المسكينة!».

ثم التفتت نحو انابيل مذعورة وسألتها بلهفة وتأثر:

«وانت يا حبيبتي الصغيرة! يا ملاكي! هل انت بخير؟ هل اصابك احد بأذى؟».

رقصت انابيل وقفزت امامها وقد امتزجت في نفسها مشاعر الفرح من انتهاء المحنة والبهجة بعودة بصرها. وتركها والدها والمفتش لتخبر تانزي

الانباء السارة بعودة بصرها جزئياً. وفي غرفة المكتب، تطلع دايمون الى صديقه سائلاً وقد عيل صبره:

«هيا! هيا! ما هي هذه الانباء السيئة التي تتحدث عنها؟».

«كان لها شقيق، اليس كذلك؟ جوني هاردينغ؟».

«كان... كان لها شقيق؟».

«آسف يا دايمون. هل تعلم انه سرق اكثر من مئتي جنيه من شركتك؟».

«نعم، منذ بعض الوقت، وقد تمت تسوية المشكلة آنذاك».

«لا اعني تلك الحادثة، بل هذه التي وقعت خلال الشهرين الماضيين. انها القصة المعتادة... ديون لا يقدر على تسديدها، وتهديدات يتلقاها من اشقياء يستخدمهم اصحاب نوادي القمار لجمع ديون اللاعبين».

«دع المقدمات، واخبرني ماذا حدث بالضبط».

«كتب لشقيقته على ما يبدو طالباً منها ان تحول له مبلغاً من المال. استجابت خطيبتك للطلب... ولكن المبلغ لم يكن كافياً. وليلة امس الأول، تعرض لعملية مطاردة في شوارع لندن. اصطدمت سيارته بزاوية احدى البنايات، وربما كان ذلك عمداً، فقتل على الفور. اكتشف رجال الشرطة هناك ان اقرب انسان له هو شقيقته... التي تعمل هنا».

«مسكين هذا الشاب! كان يتصرف دائماً وكأنه يسعى الى حتفه!».

ثم تنهد واضاف قائلاً:

«اعتقد ان علينا التمهل قليلاً لابلاغ ايما هذا النبأ المزعج. يكفيها ما مرت به طوال الليلة الفائتة».

«اوافقك بدون تحفظ. هيا، لنعد الى القاعة. قد يستعيد الرجل وعيه ويحاول القيام بشيء ما، على الرغم من قيوده».

التقى بهما فيليب قبل ان يدخلا الغرفة الكبيرة وابلغهما بأن لويزا هي الوحيدة بين بقية المقيمين في المنزل التي تعرضت لهجوم الرجل الدخيل، والسبب في ذلك ان غرفتها تقع في الجانب المخصص لاصحاب البيت وضيوفهم او العاملين معهم من غير الخدم مثل لويزا وايما. وقال انها بدأت تستعيد وعيها، وسوف يكشف الطبيب على رأسها بعد معالجته للجريحة.

كانت ايما تصارع الاغماء، فصرخ دايمون وهو يسير بعصبية في ارجاء

الغرفة:

«اين مريديث بحق السماء؟ الا يعرف انها حالة طارئة واضطرارية؟».

نظر اليه المفتش بتأثر ووضع يده على كتفه قائلاً:

«لنحاول تمضية الوقت بتحليل الظروف التي ادت الى هذه المشكلة. لماذا اتى هذان الرجلان الى هنا؟ ماذا كان دافعهما لاقتحام بيتك ومهاجمتك على هذا النحو؟».

جلس دايمون وبدأ يخبر المفتش القصة بحذافيرها وكما حدثت اولاً بأول. اخبره عن لقائه الأول والعابر مع تساي بن لونغ في مطار هونغ كونغ وعن حادثتي القتل في سان فرانسيسكو، وكذلك عن حادث اقتحام شقته في لندن. واخيراً، وصف له تفاصيل ما حدث في الليلة السابقة. وكان المساعد فيليب يدون كافة المعلومات بسرعة ودقة. ولما انتهى دايمون من رواية قصته، نظر اليه المفتش باهتمام بالغ وقال:

«انها قصة غريبة جداً. فلماذا تتصل بك هذه الفتاة ان لم تكن متورطاً بهذه العملية. انا اظن، كهذين الرجلين، انك وافقت على القيام بدور الوسيط بعد مقتل الرجل البريطاني الأخر».

واشعل سيكارة ثم اضاف قائلاً:

«يجب ان تدرك يا دايمون ان تصرفاتك تثير الشكوك والشبهات. بيتك هنا، ولكنك مع ذلك تعود مباشرة الى لندن بعد مغادرتك سان فرانسيسكو».

«انا رجل اعمال اذهب حيثما تضطرني اعمالي للذهاب. اضف الى ذلك، انني لو كنت الوسيط فلماذا لم اترك الفيلم... ان كان له وجود في المقام الأول... في لندن؟».

«هذا الفيلم موجود، ونحن نعرف ذلك يا دايمون. ثم، أليس محتملاً انك ترغب في عرضه بطريقة المزاد العلني؟».

«تعني... على حكومات مختلفة؟».

«تماماً. اني اتصور ان عدداً كبيراً من رؤساء الدول يتمنون معرفة محتويات هذا الفيلم».

«بوب هوارد! هل تظن صراحة ان الفيلم حقاً موجود معي؟».

هز المفتش رأسه واجابه بجدية بعد ان شاهد الذهول والاستغراب

الشديدين والصادقين على وجهه:

«لا يا دايمون، انا لا اظن ذلك. اني اعرفك منذ سنوات عديدة ولا اتصور انك ستعرض حياة ابنتك والآنسة هاردينغ لقاء شيء كهذا. اضف الى ذلك، انك لست من هذا النوع من الرجال».

تمتم دايمون بارتياح:

«شكراً لك يا ربي!».

سمع الرجلان وقع اقدام في الخارج فتنهد دايمون وعلت وجهه ابتسامة خفيفة. انه الطبيب! توجها الى القاعة فوراً، فوجدا ان الطبيب باشر بمعالجة ايما. كما كان اثنان من رجال الشرطة يخرجان الدخيل الذي بدأ يستعيد وعيه. وبدأت الأمور تعود الى طبيعتها بصورة تدريجية. اخذت تانزي الفتاة الصغيرة الى سريرها حيث سيفحصها الطبيب في وقت لاحق. وبعد ان عالج كتف ايما وضمد الجرح بعناية فائقة، حملها فيليب الى غرفتها في الطابق العلوي ووضعها في سريرها. وبعد ان ذهب الجميع واختلى الرجلان لمتابعة تحليل المشكلة، ربت هوارد على كتفه وقال:

«اني متأسف جداً لارهاقك وازعاجك باسئلتي المتواصلة والمتلاحقة، ولكن اعتقال هذين الوغدين ليس نهاية الطريق. فما دامت قيادتهما تظن بأن الفيلم موجود معك، ستظل في خطر. ولذلك فإنه يتحتم علينا، بطريقة او باخرى، ان نتأكد من ان الفيلم ليس معك... وان لم يكن معك، فأين هو هذا اللعين؟».

هز دايمون رأسه بعصبية وقال:

«بوب، الا تظن انني اريد معرفة ذلك قبلك؟ اني مشمئز من هذه القضية برمتها واريد الانتهاء منها كلية... وباسرع وقت ممكن».

«لا يمكنك التخلص من هذه المشكلة بدون مواجهة بعض المصاعب. فعندما يصبح الفيلم بحوزة السلطات المعنية، تصبح انت حراً طليقاً. ولكن حتى ذلك الحين...».

«سوف يطاردونني كالوحوش الكاسرة! يا لهذه الورطة الشنيعة!».

اخذ سيكارة من العلبة الموجودة امامه واخرج قداحته لاشعالها. ثم، كومضة برق، خطرت بباله فكرة... فهب واقفاً وهو يقول بدهشة بالغة:

«لدي فكرة غريبة!».

«حافظ على هدوئك يا دايمون، وفكر بروية!».

«لا اقدر! لا اقدر! رباه، لماذا لم افكر بهذا الاحتمال من قبل؟».

تنهد المفتش بشيء من الانزعاج، متصوراً ان الارهاق والمعاناة هما سبب هذا التصرف. وسأله متبرماً:

«تفكر بماذا، يا دايمون؟».

«اسمع! كلما فكرت بتلك الفتاة الصينية، كنت دائماً افكر بالأوقات التي كنا فيها معاً. وتأكد لي في وقت لاحق انها هربت مني لأنها كانت خائفة. ولكن شيئاً اخر نسيته تماماً، وهو اننا عندما كنا في سان فرانسيسكو استعارت مني قداحتي... هذه القداحة! وعندما فزعت وخافت، كما قلت لك، اختفت... واخذت القداحة معها. اعتقدت في البداية انها سرقتها. ولكننا عندما خرجنا من المطعم، استوقفني مدير الفندق واعطاني القداحة قائلاً ان فتاة صينية طلبت منه اعادتها لي شخصياً. لم اعد افكر بالقداحة. تأكد لي ان الفتاة ذهبت ولن تعود، وتصورت انها قررت اعادة القداحة لأنها ربما ندمت على سرقتها. الا تلاحظ شيئاً غريباً في هذه المسألة؟ اليس محتملاً ان يكون الفيلم الصغير في القداحة؟».

«انه احتمال معقول تماماً. لماذا لم تفكر بالقداحة من قبل؟».

«كما اخبرتك قبل قليل، لم يبد الامر هاماً على الاطلاق. ولكني اعتبره الآن مفتاح القضية برمتها».

اخذ المفتش القداحة بسرعة وبدأ يفحصها ويقلبها باهتمام بالغ. ثم صرخ بصوت عال:

«حجر القداحة!».

وفتح بسرعة غطاء المكان الصغير المخصص للحجر الاضافي، فوقع الفيلم الصغير على الطاولة. وصرخ المفتش مرة اخرى بسرور وابتهاج:

«رائع! رائع!».

ثم ابتسم بمكر وقال:

«يجب ان اتوقع ترقية نتيجة لهذه القضية».

ابتسم دايمون ايضاً وهو لا يصدق بأن هذه الورطة المزعجة قد انتهت. ثم اشعل سيكارته بعود ثقاب من علبة قريبة وقال لصديقه ضاحكاً:

«انك تستحقها... يا حضرة كبير المفتشين».

ثم تمتم وهو يهز رأسه:

«يا لها من ليلة! يا لها من ليلة!».

بعد مرور شهر على تلك الليلة العصيبة والحادثة الرهيبة، ادخلت ايما الشاي الى غرفة زوجها في شقتهما بلندن. كانت ترتدي عباءة حريرية شفافة.. وتبدو كأنها في الثامنة عشرة من عمرها.

هذا ما قاله دايمون لنفسه وهو يتأملها بشغف ومحبة، فيما كان مستلقياً بتكاسل على سريره يراقب دخولها وطريقة سيرها. ومع انه مر اسبوعان واكثر على زواجهما، الا انه لا يزال يشعر كلما شاهدها بتلك الرعشة المثيرة التي احس بها عندما زنر اصبعها بذلك الخاتم الرائع.

كانا سعيدين جداً، كما توقع ان يكونا. وكانت هي كل ما تمناه واراده في زوجته وشريكة حياته. لم تعد تشعر بتلك العصبية الخفيفة التي احست بها في الليلة الأولى لزواجهما... عندما كانت خائفة الى حد ما من اظهار عواطفها بالقدر الذي تريد. ولكنه علمها بصورة تدريجية كيف تسعده وتبهجه، وفتح لها بذلك آفاقاً جديدة ومثيرة لم تكن تحلم بها من قبل.

وضعت الشاي قربه وسألته بهدوء وحنان:

«هل ايقظتك؟».

«كم الساعة الآن؟».

«الثامنة الا خمس دقائق. هل تريد فنجاناً من الشاي؟».

«وهل تريدين انت؟».

«نعم».

«وصبت فنجانين من الشاي وجلست على مقعد مجاور تشرب فنجانها وتتأمله بعطف وحنان.

انهى فنجانه بسرعة وقال:

«ها قد انتهيت. شكراً».

«يبدو انك كنت بحاجة اليه».

«تعالي الى هنا».

ظلت تشرب فنجانها متجاهلة طلبه ورغبته. فكرر طلبه بلهجة الأمر. ابتسمت وقالت له:

«لم اشرب حاجتي بعد».

كانت تشعر بلذة مثيرة عندما تعذبه وتغيظه على هذا النحو، لأنها تعرف الكيفية التي سيقاصصها بها. انها تحبه وتعشقه... تحبه كانسان، وكرجل، وتشعر بانها لن تتحمل العيش بعيدة عنه او بدونه. شربت الشاي ووقفت بتكاسل متعمد. اخفى رأسه تحت الوسادة، فعضت على شفتها وصرخت به:

«دايمون، دايمون!».

لم يجبها، فاقتربت منه ورفعت رأسه نحوها. لم يمد يده اليها بل تركها تفعل ما تريد. قطبت جبينها قليلاً وناشدته قائلة:

«دايمون، لا تغضب مني!».

ابتسم بمكر وقال لها:

«انا لست غاضباً. اذهبي وارتدي ثيابك، فسوف اظل بعض الوقت في سريري».

غضبت وهزت رأسها وبدأت تتمتم:

«انك، انك...».

علق على ثورتها البريئة ضاحكاً:

«العصبية، العصبية!».

وشعر بأنه لم يعد قادراً على اغاظتها اكثر من ذلك. فرمى الغطاء الحريري واخذها بين ذراعيه.

«دايمون! ماذا لو دخل احد الآن؟».

«انك زوجتي، اليس كذلك؟».

وعانقها مانعاً اياها من مواصلة الاحتجاج والتذمر. وبعد فترة طويلة جداً، نهضت ايما رغماً عنها واخذت تتأمله بعينين عاشقتين. ابتسم وامسك يدها ثم قبلها بوداعة وحنان وسألها:

«هل انت سعيدة يا حبيبتي؟».

اجابته بهدوء وهي ترتدي العباءة الحريرية بتردد ملحوظ:

«وهل يجب ان تسأل؟ انني لم اشعر بجزء من هذه السعادة في اي وقت من حياتي... وانت تعلم ذلك».

«وجوني؟».

تنهدت ايما وردت عليه وقد ابتلت عيناها بالدموع:

«انت تعرف انني افتقده بين الحين والآخر. ولكني ممتنة جداً ان المفتش ابلغنا ذلك النبأ السيء في تلك الظروف بالذات. لا ادري ماذا كان سيحدث لنا لو لم يأتِ في ذلك الوقت».

«صحيح. كنا محظوظين لأن بوب وصل في ذلك الوقت المبكر. ظن انني سأستخدم اليخت ذلك اليوم، وهو يعرف انني اذهب باكراً».

«كنا محظوظين جداً».

واغمضت عينيها لحظة وهي تستعيد ذكرى تلك الساعات الرهيبة والمرعبة. وارتعش جسمها، ثم تذكرت شقيقها فقالت:

«مسكين جوني! يقتل على ذلك الشكل، يطارده الاشقياء ورجال العصابات! انه لأمر مؤسف ومحزن حقاً!».

تنهد دايمون وقال لها:

«افكر احياناً بما اذا كانت هذه الحادثة ستقع لو لم ارغمك على الذهاب الى سانت دومينيك!».

هزت ايما رأسها بحدة وقالت:

«هذه سخافة! جوني والمتاعب صديقان حميمان لا يفترقان. كان دائماً يريد مالاً، وكان سيواجه عاجلاً ام آجلاً مشكلة كهذه عندما لا يعود قادراً على تسديد ديون الشر والفساد».

«هل هذا ما تشعرين به حقاً؟».

«طبعاً. لماذا تسأل؟ هل كنت تظن انني ساحملك مسؤولية ما حدث له؟».

«تصورت ذلك احياناً».

«اوه، دايمون، حبيبي!».

ثم قامت من السرير وقالت:

«يجب ان اذهب لارتداء ثيابي ستستيقظ انابيل بين لحظة واخرى».

ابتسم دايمون وقال لها:

«حسناً».

نظرت اليه فجأة وسألته:

«بالمناسبة، كنت اريد ان اسألك قبلاً ولكني منعت نفسي بحزم

واصرار. هل نمت مع تلك الفتاة الصينية؟».

ابتسم ورد عليها بشيء من التهكم:

«ايما ثورن! كيف تجرؤين على توجيه مثل هذا السؤال؟».

احمرت وجنتاها خجلاً وتمتمت قائلة:

«اوه... كنت... كنت اتساءل فقط!».

«حسناً، حسناً. سأغفر لك».

«ثم ماذا؟».

هز رأسه واجابها بهدوء:

«طبعاً لا. اني لم اتطلع الى اي امرأة اخرى منذ اللحظة الأولى لدخولك مكتبي طالبة مني مساعدة جوني».

«اوه، شكراً لك يا حبيبي، شكراً لك».

وضمته الى صدرها بقوة وحنان ثم اضافت باسمة:

«الآن يمكنني ان آخذ حماماً بسلام وطمأنينة. بالمناسبة، قرأت انابيل امس الصفحة الأولى من كتابها الجديد. ويعتقد الطبيب المختص ان نظرها سيعود الى حالته الطبيعية خلال فترة وجيزة».

ابتسم دايمون وقال:

«اننا محظوظون جداً يا حبيبتي، اليس كذلك؟».

«ومسرورون وسعداء ايضاً».